
Looloo
dvd4arab

١ ـ يخت الموت ..

انطلق زورق بخارىّ صغير يشق مياه البحر الأسود ، نحو يخت يتمايل فى هدوء فوق سطح البحر ، ولم يلبث أن توقّف إلى جواره ، وأسرع راكباه يصعدان إلى سطح اليخت ، الذى انتشر فوقه عدد من الرجال ، الذين تدلّ ملامحهم على الشرّ ، وتوقّف أحد الرجلين قليلاً ، ليعدل من سترته السوداء الأنيقة ، ورباط عنقه الأحمر ، ويمر بيده فى نعومة على شعره المصفّف بعناية بالغة ، على حين استند الآخر وهو الأضخم حجمًا إلى حاجز اليخت بطريقة تنم عن الاستهتار ، وأخذ يعبث بين أصابعه بمدية ضخمة ، ويتحسّس نصلها اللامع الحاد بأنامله فى حذر وإعجاب ..

لم تكد تمض لحظات ، حتى صعد إلى سطح اليخت رجل طويل القامة ، وسيم الملامح بشعره الفاحم الناعم ، ووجهه الأبيض المشرب بالحمرة ، وشاربه الرفيع الأنيق ، الذى يشبه نجوم السينما فى الخمسينات ، وحرّك يده

فى إشارة تحمل غطرسة شديدة ، تركت أثرها فى الرجال الذين يملئون سطح اليخت ، فتراجعوا نحو حاجز اليخت ، ليفسحوا الطريق لراكب الزورق البخارى المتأنق ، الذى اقترب فى خطوات ثابتة من الرجل الأحمر البشرة ، وانحنى أمامه نصف انحناءة وهو يقول :

ـــ صباح الخير يا (حشمت) بك .. كيف حال (شاهيناز) هانم ؟

رفع (حشمت) سيجاره الفاخر إلى فمه فى كبرياء ، وتفرّس فى الرجل طويلاً ، وهو يمنع ابتسامة ساخرة من القفز إلى شفتيه ، ولم يلبث أن قال فى غطرسة :

ـــ إنها فى خير حال يا (موشى) بك .. هل أحضرت النقود ؟

رفع (موشى) حقيبته إلى مستوى النظر ، وضرب عليها براحته قائلاً :

ـــ المبلغ بأكمله يا (حشمت) بك .. مليون دولار بالتمام والكمال .

مال (حشمت) إلى الأمام ، وبرقت عيناه ببريق ساخر ، وهو يمد يده الممسكة بالسيجار قائلاً :

ـــ هل تحمل كلها ختم المخابرات المصرية ؟

تراجع رأس (موشى) فى حدّة ، وظهرت الدهشة على ملامحه برهة ، لم يلبث بعدها أن استردّ هدوء أعصابه ، وقال :

ـــ ما معنى هذا الحديث يا (حشمت) بك ؟.. إنك تتحدّث عن أعدائنا .

مال رأس (حشمت) إلى الخلف ، وهو يطلق ضحكة عالية ساخرة ، ثم عاد يلتفت إلى (موشى) ويقول :

ـــ هل تظن (حشمت كمال) بمثل هذا الغباء ، يا ضابط المخابرات المصرى ؟..

هل تظن مخابرات دولتك ، أننى لا أملك القوة والاتصالات الكافية للاتصال بأى جهاز مخابرات فى العالم ، والتأكد من شخصيتك ؟ لقد عرفت أنك مزيف يا (موشى) بك .

ابتسم الرجل الذى يحمل اسم (موشى) ، وقال :

ـ ماذا لو أن المخابرات المصرية هى التى خدعتك لتضمن تخلُّصك منّى ، وعدم تسليمى الصور الفوتوغرافية التى لديك ؟

ضحك (حشمت) مرة أخرى ، وجذب نفسًا قويًا من سيجاره ، ودفع دخانه فى وجه (موشى) وهو يقول :

ـ ربما يا (موشى) بك .. ولكن هذا هو أسلوب (حشمت كمال) .. وهذا نفسه هو السبب فى عدم وقوعى فى أيدى السلطات بعد .

وضاقت عيناه وهو يستطرد فى غطرسة واضحة :

ـ إننى شديد الحذر يا (موشى) .. شديد الحذر لدرجة كبيرة .. وفى داخل رأسى ناقوس حسّاس ، بمجرد شعوره بالخطر ينطلق يدقّ فى قوة وعنف ، والوسيلة الوحيدة لإسكاته هى ....

وطرق بإصبعه قبل أن يردف :

ـ القتل يا (موشى) بك .. القتل وحده هو الذى يسكت ناقوس الخطر فى رأسى .

توترت عضلات وجه الرجل ، وقال :

ـ ولكنك لابدّ أن تتأكّد أولًا يا (حشمت) بك ، قبل أن ترتكب خطأً بشعًا .

عاد (حشمت كمال) يضحك فى مزيج من السخرية والغطرسة والشراسة ، ثم قال :

ـ (حشمت كمال) يقتل أولًا ، ثم يتأكد أيها المخادع .. هذه هى أسلم الطرق لضمان الأمان .

لوّح الرجل بذراعيه فى ذعر ، وهو يصيح :

ـ لا يا (حشمت) بك .. أنت مخدوع أؤكد لك .

وقبل أن يتم عبارته ، كان الرجل المستند إلى حاجز اليخت قد أحاط عنقه بذراعه ، ثم ذبحه بنصل المدية الحاد ، قبل أن يمنحه الفرصة للتفوّه بحرف واحد ..

تناثرت الدماء من عنق الرجل الذى كان يدعى يومًا (موشى إيزاك) ، وجحظت عيناه فى نظرة متحجّرة ، ولم يكد الرجل الضخم يفلت يده من عنقه ، حتى هوى على الأرض وقد أسلم الروح ..



وقبل أن يتم عبارته ، كان الرجل المستند إلى حاجز اليخت قد أحاط عنقه بذراعه ..

أخذ الرجل الضخم يمسح الدماء عن قميصه بلا مبالاة ، على حين مطَّ (حشمت كمال) شفتيه فى استهتار ، ونفث دخان سيجاره فى هدوء ، وقال فى غطرسة :

— لقد لوَّث هذا الأحمق سطح اليخت بالدماء .

ثم أشار إلى رجاله قائلاً :

— أسرعوا بتنظيف هذا السطح ، وإلقاء جثة الأحمق فى البحر .. هيَّا .. إن (شاهيناز) هانم لا تحب رؤية الدماء .

واستدار فى هدوء ، هابطًا درجات سُلَّم صغير إلى داخل كابينة اليخت ، وابتسم بشكل مسرحى حينما طالعه وجه (شاهيناز كاظم) بسنوات عمرها الثلاثين ، ووجهها الجميل الصافى ، وحاجبيها الرفيعين ، وعينيها الواسعتين السوداوين ، وشعرها الكستنائى الغزير الطويل ، وفمها المستدير المتناسق .. كانت تعد كأسًا من الخمر عندما هبط إليها ، فالتفتت تلقى عليه نظرة سريعة لا مبالية ، ثم عادت تولى الكأس اهتمامها وهى تقول فى هدوء :

— هل انتهى الأمر يا (حشمت) ؟ .. هل تخلصتم من الرجل ؟

أجابها (حشمت) فى غطرسة :

— بالطبع يا هانم .. لقد ذبحنا (عباس) ، وألقينا بجثته فى البحر .

قالت وهى تناوله كأس الخمر :

— ربما تطفو الجثة .

هزّ كتفيه فى بساطة ، وقال :

— لن يحدث يا هانم .. لقد ربطنا حجرًا ضخمًا فيها .

ابتسمت فى ثقة وهدوء ، ورفعت كأسها نحو كأسه قائلة :

— فى صحة فشل المخابرات المصرية .

فتل (حشمت) شاربه فى كبرياء ، ثم جرع كأسه دفعة واحدة ، وقال :

— سيفشل الجميع ، ما داموا يتحدوننا يا هانم .

* * *

٢ — مهمة على البوسفور ..

استيقظ المقدم (أدهم صبرى) فى الثالثة والنصف صباحًا ، على رنين هاتفه المتصل ، فتثاءب وتناول ساعته من جوار الهاتف وألقى عليها نظرة سريعة ، ثم تمتم بسخرية يشوبُه معالمها النعاس :

— لابدّ أنها مهمة عاجلة للغاية ، تلك التى تستدعى إيقاظى فى مثل هذا الوقت .

ثم رفع سماعة الهاتف وسأل عن شخصية محدّثه ، فجاءه الجواب سريعًا :

— أنا (حازم) يا (أدهم) .. المدير يطلبك فى الإدارة على الفور .

تثاءب (أدهم) مرة أخرى ، وقال :

— أتعشّم أن يسند إلىّ مهمة جيّدة ، وإلا أصابنى الضيق بسبب إيقاظى فى مثل هذه الساعة المبكّرة ، وقد وصلت أمس فقط من النرويج .

ضحك (حازم) ، وقال :

— لقد وصلت أنا أيضا من (رومانيا) توًا ، فأسرع السيد المدير يكلفنى الاتصال بك .

ابتسم (أدهم) وهو يقفز من فراشه فى نشاط مفاجئ ، وقال قبل أن ينهى المكالمة :

— حسنًا يا (حازم) .. سأصل بعد نصف ساعة تمامًا .

وتحرك بنشاط وسرعة يرتدى ثيابه ، ويصفف شعره ، ثم انهمك فى إعداد حقيبة سفره الصغيرة ، وحرص على تثبيت مسدسه تحت إبطه الأيسر .. ولم يكد ينتهى حتى ابتسم فى سخرية ، وقال محدثًا نفسه :

— يا لزميلتى المسكينة (منى) !! لقد كانت تحلم بنوم هادئ طويل ، ولكن .. هذه حياة المخابرات .

* * *

دخل (أدهم) فى هدوء إلى قاعة العرض السينمائى ، حيث يجلس مدير المخابرات ، الذى أشار إليه بالجلوس

إلى جواره ، ثم رفع أصابعه بإشارة ذات معنى خاص ، فأطفئت الأنوار وبدأ العرض .

أشار مدير المخابرات إلى صورة الرجل الذى يتحرك على الشاشة ، وقال :

— هذا هو غريمك هذه المرة يا (ن — ١) .. (حشمت كمال) إقطاعى تركى كبير ، يمتلك أكبر مزارع الدخان فى (استانبول) على مضيق البوسفور ، وهو غاية فى الثراء ، ويقال إنه يقوم بزراعة أشجار الخشخاش المستخدمة فى صناعة المخدرات بصورة سرية .

تأمل (أدهم) صورة (حشمت كمال) فى اهتمام ، وقد بدأ يتحدث إلى سيدة غاية فى الجمال .. فأشار مدير المخابرات إلى صورتها ، وقال :

— هذه السيدة التى تلوح الغطرسة التركية من ملامحها ، هى (شاهيناز كاظم) ، زوجة (حشمت كمال) وشريكته فى كل أعماله ، سواء فى تجارة التبغ أو المخدرات ، أو فى الجاسوسية .

ابتسم (أدهم) فى سخرية وهو يتأمل ملامح (شاهيناز كاظم) ، ثم تمتم فى تهكم :

ـ لماذا تعمل الجميلات دائمًا فى مجال الجاسوسية يا سيدى ؟

تراقصت ابتسامة على شفتى مدير المخابرات ، ولكنه لم يعلق على عبارة (أدهم) ، وإنما تابع حديثه قائلاً :

ـ ولقد حضرت (شاهيناز كاظم) إلى مصر للسياحة منذ عشرة أيام ، ولكنها حينما غادرتنا كانت تحمل فى حقيبتها فيلمًا صغيرًا ، يضم صورًا لمطاراتنا السرية الحديثة ، وبعض صواريخنا الدفاعية .

قطب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

ـ وكيف حصلت على هذه الصور يا سيدى ؟

ظهر الضيق على وجه مدير المخابرات ، وقال :

ـ لقد تصرفت بوسائل غاية فى البراعة يا (ن ـ ١) .. إنها محترفة بحق .

وصمت لحظة ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ ولم تكد (شاهيناز كاظم) تصل إلى (استانبول) ، حتى أجرى (حشمت كامل) اتصالاً مع المخابرات المعادية لنا ، وعرض عليهم بيع الصور الإيجابية والسلبية ، مقابل مليون دولار أمريكى ، فوافقوا فى الحال بالطبع ، وأسرعوا بإرسال أحد ضباطهم ، ويدعى (موشى إيزاك) .

ولم يستطع مدير المخابرات منع ابتسامة ارتسمت على شفتيه ، وهو يتابع العرض قائلاً :

ـ ولما كنا قد علمنا بالأمر متأخرًا ، فلم يكن أمامنا سوى أن نسرب إلى (حشمت) معلومات زائفة ، جعلته يعتقد أن (موشى) هذا هو أحد رجالنا ، يحاول استعادة الصور ، فما كان منه إلا أن تخلص منه كعادته .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يتصور موقف المخابرات المعادية ، عندما قتل (حشمت) رجلهم ، وهو يظنه من الطرف الآخر ، أما مدير المخابرات فقد استطرد فى هدوء :

ـ وما زال (حشمت) و (شاهيناز) حتى الآن ينتظران

قدوم ضابط المخابرات المعادية ، ليسلّمهم مليون دولار أخرى ويحصل على الصور .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ أراهن أننى عرفت اسم الرجل الذى سيذهب لمقابلة (حشمت كمال) .

ضحك مدير المخابرات ، وقال :

ـ كلنا نعرفه يا (أدهم) .. إنه يدعى .. (رجل المستحيل) .





٣ ـ اللقاء الأول ..

انتهى (أدهم) من وضع اللمسات الأخيرة فى تنكُّره المتقن ، ووقف لحظة يتأمّل نفسه فى مرآة غرفته ، كان قد حوَّل شعره إلى لون بنى فاتح ، وصفّفه تاركًا خصلة تتدلّى على جبهته ، وأضاف إلى أنفه ما جعله منحنيًا كأنف عملاء المخابرات المعادية ، وإن لم ينقص من وسامته شيئًا ، وأخيرًا أضاف إلى عينيه عدستين لاصقتين زرقاوين .. واستدار نحو (منى) ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، واقترب منها يهزُّ كتفيها بحنان قائلًا :

ـ استيقظى أيتها النقيب .. سنبدأ مهمتنا .

فتحت (منى) عينيها ، وتثاءبت فى تكاسل ، ثم عادت ترخى جفنيها قائلة :

ـ معذرة يا (أدهم) .. لقد نمت على مقعدى من شدة التعب ، فلم أحظ بوقت كافٍ من النوم منذ عودتنا من (الروبع) .. الاستدعاء فى الثالثة والنصف صباحًا ،

ثم السفر فى السادسة ، والرحلة إلى (استانبول) .. يا إلهى .. كم أشعر بالرغبة فى النعاس !!

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ـ أعدك بأن أترك لك الفرصة الكافية للنوم ، بعد أن ننتهى من المهمة يا عزيزتى .. أما الآن فسنذهب لزيارة (حشمت كمال) فى قصره المنيف .

* * *

كان قصر (حشمت) كمال يقف شامخًا على ضفاف مضيق البوسفور فى (استانبول) كقصور الأساطير القديمة ، وعلى بابه يقف الحراس فى ثيابهم الأنيقة المزركشة ، حتى أن (أدهم) مال على أذن (منى) وهما يدلفان إلى حديقة القصر ، وهمس فى سخرية :

ـ يبدو أنها ستكون ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة يا عزيزتى .

أجبرت نفسها على الابتسام ، وهى تقول فى قلق :

ـ أخشى أن تتحوّل إلى ليلة من الجحيم ، بفضلك يا سيادة المقدم .

ضحك (أدهم) وهو مستمر فى سيره ، إلى أن عبرا بوابة القصر إلى بهو ضخم مرتفع ، يدل كل ركن فيه على مدى الثراء البالغ ، الذى يتمتع (حشمت كمال) ..

واعتدل (أدهم) وهو يضغط على كف (منى) هامسًا :

ـ اتخذى مظهرًا مغطرسًا يا عزيزتى ، فها هى ذى (شاهيناز) هانم فى طريقها لتحيّتنا .

ظهرت (شاهيناز كاظم) فى ثوب وردى فضفاض مرصّع باللآلئ زادها جمالاً وهى تتقدم فى عظمة وخيلاء نحو (أدهم) ، الذى رسم على شفتيه ابتسامة جذابة ، و (منى) التى تأمّلت جمال (شاهيناز) فى دهشة وإعجاب حتى أصبحت أمامهما ، فابتسمت ابتسامة أنيقة ، وقالت وهى تمد يدها لتصافح (منى) :

ـ مرحبًا بكما فى القصر ياعزيزتى .. هل كانت رحلتكما طيّبة ؟

تناول (أدهم) كفها الرقيق ، وانحنى يقبّل أناملها بطريقة ديبلوماسية ، وهو يقول :

— وحتى لو كانت الرحلة شاقة . فمجرد مرآك يبعث الراحة فى القلوب يا هانم .

رفعت (شاهيناز) حاجبيها فى دهشة ، وتأملت ملامح (أدهم) الوسيمة ، ثم ابتسمت فى مكر وقالت :

— من الواضح أنك تجيد فن الحديث يا سيد ....

وتوقفت لحظة ، حتى قال (أدهم) وهو ينحنى نصف انحناءة ، وينظر إلى عينيها مباشرة :

— (ديان) يا هانم .. (جوزيف ديان) .

ضاقت عينا (شاهيناز) ، وهى تنظر فى عينى (أدهم) وتقول :

— تشرفنا يا (ديان) بك .. عجبًا .. إنك تمتلك أصفى عينين رأيتهما فى حياتى .

شعرت (منى) ببعض الضيق والغيرة من عبارة (شاهيناز) ، ولكنها كتمت مشاعرها ، ورفعت رأسها فى غطرسة ، وقالت فى برود :

— أعتقد أننا حضرنا هنا فى مهمة معينة ، وليس من أجل التغزل فى عينى السيد (ديان) .

التفتت إليها (شاهيناز) وتأملتها فى غطرسة ، ثم ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

— أنت على حق يا فتاتى .. هل لى أن أتعرف اسمك بالمناسبة ؟

قالت (منى) فى برود وكبرياء :

— (يائيل جاكوب) يا هانم .. وأنا لا أتميز بالصبر كزميلى .

ضحكت (شاهيناز) فى سخرية وهى تنقل بصرها بينهما ، ثم أشارت إليهما بالجلوس وهى تقول :

— حسنًا يا (يائيل) هانم .. سنخصص الوقت كله للمهمة ، ونترك لك زميلك الوسيم .

اعتدل (أدهم) فى جلسته ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وقال :

— أين (حشمت) بك ؟

جاءه من أعلى الدرج الداخلى للبهو ، صوت (حشمت كامل) الهادئ يقول :

— هأنذا يا (ديّان) بك .. هل أحضرت النقود ؟

وهبط الدّرَج فى غطرسته المعتادة ، وهو يمسك بين أصابعه بسيجار ضخم ، إلى أن أصبح أمام (أدهم) ، الذى صافحه فى هدوء ، وقال :

— ليس الآن يا (حشمت) بك .. لابُدّ أن أتأكّد أولا من أن الصور تساوى المبلغ المطلوب .. إن مليون دولار ليس بالمبلغ البسيط .

حدّق (حشمت) فى وجه (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم وقال :

— هكذا يكون عمل المحترفين يا (ديّان) بك ، وليس كما تصرّف هؤلاء المصريون الأغبياء .

شعر (أدهم) بالدم يتصاعد إلى رأسه فى غيظ ، عندما أطلق (حشمت) على المصريين لقب الغباء ، ولكن شيئًا من ذلك لم يبد على وجهه وهو يقول :

— لكل جهاز مخابرات أسلوبه يا (حشمت) بك .. والآن أين الصور ؟

نفث (حشمت) دخان سيجاره ، وقال :

— ستراها يا (ديّان) بك ، ولكن بعد أن نتناول معًا كأسًا من الخمر .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— رجال المخابرات فى العالم أجمع لا يتناولون الخمر يا (حشمت) بك .

ضحك (حشمت كمال) ، وقال :

— حسنًا يا (ديّان) بك .. سأتناول أنا و (شاهيناز) هانم الخمر ، ونعد لكما كوبين من عصير البرتقال الطازج .

نهضت (شاهيناز) وهى تتأمّل ملامح (أدهم) قائلة :

— سأعدّها بنفسى تحيّة لضيفنا .

وأشارت لزوجها أن يتبعها ، فابتسم لضيفه قبل أن ينهض خلفها ، فمالت (منى) على أذن (أدهم) وهمست :

— هذه السيدة تتصرف بأسلوب مثير للشك .

تابع (أدهم) ببصره (حشمت) و (شاهيناز) وهما يتحدثان همسًا ، وتحسس مسدسه تحت إبطه ، ثم همس :

— هذا الشعور يراودنى أيضًا يا (منى) ، ولكننى سأنتظر اللحظة الأخيرة .

وفى نفس الوقت كانت (شاهيناز) تقول لزوجها :

— دع (عصمت) يستعد بخنجره الحاد ، فهذا الرجل ليس (جوزيف ديان) ، إنه زائف ، فهو يضع فوق عينيه عدسات زرقاء .

* * *



٤ — شيطان البوسفور ..

قدم (حشمت كامل) سيجارًا إلى (أدهم) ، ولكن الأخير لوّح بيده علامة على الرفض .. فرفع (حشمت) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وابتسم وهو يشعل سيجاره قائلًا :

— يبدو أنك رجل مخابرات مثالى يا (ديان) بك .. لا تشرب ولا تدخن .. منتهى المثالية .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— دعنا من المثاليات يا (حشمت) بك .. المهم الآن هو الصور .

دخل إلى الحجرة فى تلك اللحظة رجل ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، كثيف الشعر ، حلو الملامح ، حليق الوجه ، تنم ابتسامته وبريق عينيه على الجرأة والاستهتار ، قدمه إليهما (حشمت) قائلًا :

— (عصمت لاظوغلى) .. ذراعى اليمين .. الوحيد الذى أثق فيه كما أثق فى نفسى .

حيّاه (أدهم) بغير مبالاة ، وأومأت إليه (منى) برأسها ، على حين ظل هو على ابتسامته الساخرة وهو يدور فى أنحاء الغرفة ، متظاهرًا بالتطلّع إلى التحف الثمينة التى تملؤها ..

اعتدل (حشمت) فى مقعده ، وقال محاولاً جذب انتباه (أدهم) و (منى) إليه :

— متى سأحصل على المبلغ يا (ديّان) بك ، فى حال صلاحية الصور ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، ولوّح بيده قائلاً :

— ستحصل على المبلغ هذا المساء يا (حشمت) بك .. المهم أن أرى الصور الإيجابية والسلبية .

ابتسمت (شاهيناز) ، وقالت :

— ولماذا الصور السلبية يا (ديّان) بك ؟

قال (أدهم) بلهجة أضفى عليها الكثير من الأهمية :

— هكذا القواعد يا سيّدتى .. لابدّ من التأكد أن الصور الإيجابية ليست نتاج بعض العبث فى (النيجاتيف) .

ضحك (حشمت) فى عظمة ، وابتسمت (شاهيناز) فى سخرية قائلة :

— تقصد ألا تكون الصور خادعة يا (ديّان) بك .. أليس كذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقالت (منى) فى برود :

— كثيرًا ما تحدث هذه الأمور يا هانم .

حدجتها (شاهيناز) بنظرة متعالية ، على حين مال (حشمت) إلى الأمام ، وبرقت عيناه ببريق غامض وهو يحدّق فى وجه (أدهم) قائلاً :

— ولكن ليس مع (حشمت كامل) يا (ديّان) بك .. هل تعلم لماذا لم أقع فى قبضة السلطات حتى الآن ؟.. الإجابة هى أننى حريص يا (ديّان) بك ..

حريص للغاية .. لا توجد عندى مرحلة تالية للشك ، فهو وحده كفيل بأن أقضى على خصمى فى الحال .. هذا هو سرّ النجاح يا (ديّان) بك .

لم يدر (أدهم) ماذا دفعه إلى الالتفات فى تلك اللحظة ؟ .. ربما لهجة (حشمت) المقلقة ، أو بريق عينيه الغامض .. ولكنه حينما فعل كانت ذراع (عصمت) قد أحاطت بعنقه ، وانطلقت قبضته اليمنى فى سرعة البرق ، تحمل خنجره اللامع فى رحلة تحمل الموت ، وتشق الهواء نحو عنق (أدهم صبرى) .

* * *

يحتاج الأمر فى معظم الأحيان إلى مواجهة شىء ما ، مواجهة فعلية للاقتناع بقدرات هذا الشىء ، ومن الملاحظ دائمًا أنه لابدّ من مواجهة (أدهم صبرى) أو رؤيته ، فى أثناء العمل ، ليتأكد المرء من أنه يستحق عن جدارة ، ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات المصرية .. لقب (رجل المستحيل) ..

فبرغم أن يد (عصمت لاظوغلى) ، التى تحمل الخنجر ذا النصل اللامع ، قد انطلقت نحو عنق (أدهم صبرى) فى سرعة البرق ، إلا أن يد هذا الأخير تحركت بسرعة تفوق سرعة البرق ، فارتفعت كالصاروخ تمسك بمعصم (عصمت) ، وتلويه فى قوة فولاذية ، أجبرت (عصمت) على أن يفلت خنجره من يده ، وهو يعض على شفتيه ألمًا .. وقبل أن يفهم ما حدث ، كان (أدهم) قد أمسك بسترته ، ورفعه فى الهواء ، برغم جسده الضخم ، ثم ألقاه بقوة على الأرض أمامه ، وقفز إلى الخلف مسقطًا المقعد ..

وفى لمح البصر قفز (عصمت) واقفًا على قدميه ، وانطلقت قبضته كالصاعقة نحو فك (أدهم) ، وشهقت (منى) وهى تتراجع فى حدّة ، على حين برقت عينا (شاهيناز كاظم) فى نشوة وهى تتابع ما يحدث ، وزوى (حشمت كمال) ما بين حاجبيه فى عدم رضا ..

تلقّى (أدهم) اللكمة القوية على ساعده الأيسر فى بساطة المحترفين ، ثم تحركت قبضته اليمنى فى سرعة مذهلة ،



وقبل أن يفهم ما حدث ، كان (أدهم) قد أمسك
بسترته ، ورفعه فى الهواء ..

لتسقط كالقنبلة فوق فك (عصمت) ، الذى ترنح وتراجع إلى الخلف ، ولكن (أدهم) لم يتوقف لحظة ، بل قفز إلى الأمام ، وغاص يسراه فى معدة (عصمت) ، الذى انثنى من الألم ، ولكن (أدهم) أجبره على الاعتدال ، عندما هوى يمناه على فكه بلكمة ساحقة ألقت بـ (عصمت) بعيدًا ، ليصطدم رأسه بأحد أعمدة البهو ، ويفقد الوعى تمامًا ..

أسرع خدم القصر نحو أسلحتهم ، ولكن (أدهم) سحب مسدسه من تحت إبطه الأيسر فى سرعة البرق ، وصوَّبه نحو رأس (حشمت) ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما معنى ذلك يا (حشمت) بك ؟.. هل اعتدتم الغدر بضيوفكم ؟ أو أنكم تعملون لصالح المخابرات المصرية فى الخفاء ؟

اتسعت عينا (حشمت) فى مزيج من الدهشة والخوف ، وسقط سيجاره من فمه ، أما (شاهيناز) فقد برقت عيناها فى نشوة واضحة ، وكأنها تتمتع بلحظات

الخطر والعنف ، على حين تردّد رجال (حشمت) ، وهم ينقلون بصرهم بين (أدهم) و (حشمت) فى حيرة .. ومضت لحظة من الصمت قبل أن يقول (حشمت) :

ـــ ولكن .. ولكنك تضع عدسات زرقاء .

صاح (أدهم) متظاهرًا بالغضب :

ـــ وماذا فى ذلك ؟.. هل كنت تتصوّر أن يقابلك رجل مخابرات مثلى ، دون أن يعمد إلى التنكّر ؟

نقل (حشمت) بصره فى حنق بين (أدهم) و (شاهيناز) ، ثم قال بكبرياء :

ـــ لقد تسبّب أحدهم فى حدوث هذا الخطأ يا (ديّان) بك .

قالت (منى) فى غيظ :

ـــ وكيف كنت تنوى الاعتذار عن هذا الخطأ ، لو أن (عصمت) نجح فى مهمته يا (حشمت) بك ؟

رفع (حشمت) رأسه فى كبرياء ، وهرس سيجاره بقدمه ، وهو يقول فى غطرسة :

ـــ لم أكن أنوى الاعتذار يا فتاتى .. مطلقًا .

تحدّثت (شاهيناز كاظم) فى هذه اللحظة ، فقالت فى هدوء ، وعيناها تشعان ببريق النّشوة :

ـــ أعد مسدسك إلى جرابه يا (ديّان) بك .. فلم يعد هناك مبرر لأن تصوّبه إلى رأس زوجى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـــ هل كنت تفضلين أن أفعل ذلك ، بعد أن يذبحنى (عصمت) يا (شاهيناز) هانم ؟

قالت فى غطرسة :

ـــ لقد كان ذلك وليد الخطأ ، ولن أضيع ليلى كله فى تفسير ذلك .

أعاد (أدهم) مسدسه إلى غمده ، وهو يقول فى تهكّم واضح :

ـــ حسنًا يا (شاهيناز) هانم .. سأتغاضى عن هذا الخطأ البسيط ، فى مقابل الاطلاع على الصور .

تناولت (شاهيناز) حقيبتها الصغيرة ، على حين تنهّد

(حشمت) فى ارتياح ، وسقط فوق مقعده ، أما هى فقالت فى برود :

— الصور فى حقيبتى يا (ديان) بك ، ويمكنك الاطلاع عليها الآن .

وفجأة أخرجت من حقيبتها مسدسًا صغيرًا ، صوّبته نحو (أدهم) و (منى) ، وهى تقول فى نشوة ممزوجة بالسخرية :

— ولكننى لن أسلّمها لك يا (أدهم صبرى) بك .

* * *



٥ — الهروب الكبير ..

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وضاقت عيناه وهو يتفرّس فى وجه (شاهيناز) فى اهتمام ، على حين اتسعت عينا (منى) دهشة ، وهى تنظر إليها بدورها ، ومضت فترة قصيرة من الصمت ، قبل أن يقول (حشمت) فى دهشة أشد من الجميع :

— ماذا تقولين يا (شاهيناز) هانم ؟.. من هو (أدهم صبرى) هذا ؟

ابتسمت (شاهيناز) فى سخرية ، وهى تصوّب مسدسها نحو (أدهم) و (منى) ، دون أن تهتم بإجابة سؤال زوجها ، فقال (أدهم) فى لهجة جادّة وهو يركز عينيه فى عينيها :

— عجبًا .. إن عملاء (الموساد) فقط هم من يمكنهم التعرُّف علىّ وأنا متنكّر ؛ لأنهم يحفظون صورتى عن ظهر

قلب .. يبدو أن علاقتك بهم أقوى مما يظن الجميع
يا (شاهيناز) هانم .

حدّق (حشمت) فى وجه زوجته بدهشة ، وتحاشت
هى النظر فى وجهه ، وهى تقول لـ (أدهم) :

ـــ دعك من هذه المناورة أيها الشيطان المصرى .. إنك
لن تنجح فى ....

قاطعها (حشمت) فجأة صائحا :

ـــ (شاهيناز) .. أريد تفسيرًا عاجلًا لكل
ما يحدث .

قالت فى غطرسة وتعال :

ـــ صه يا (حشمت) .. دعنى أتحدث دون
مقاطعة .

صاح (حشمت) فى غضب :

ـــ بل سأتحدث أنا يا (شاهيناز) هانم .. لقد تنبهت
الآن إلى نقاط عديدة لم ألتفت إليها فى وقتها ، ولكنها تحتاج
إلى تفسير عاجل الآن .

أدارت (شاهيناز) وجهها إليه ، وصاحت :

ـــ لقد طلبت منك أن تصمت يا (حشمت) .

لم تتصوّر (شاهيناز) هانم لحظة واحدة ، أن هذه
الالتفاتة ستكلفها الكثير والكثير جدًّا .. صحيح أنها لم
تستغرق سوى جزء من الثانية ، ولكن هذا أكثر بكثير مما
يحتاج إليه رجل يمتلك سرعة المبادرة المذهلة التى يتميَّز بها
(رجل المستحيل) .

* * *

كان مسرح الأحداث يتكوَّن من بهو قصر (حشمت
كامل) الضخم ، حيث يقف (أدهم) و (منى) فى
منتصفه تقريبًا ، وفى مواجهتهما (شاهيناز) تمسك
بمسدسها ، و (حشمت) غير المسلح ، وإلى يمينهما أربعة
من رجال (حشمت) يمسكون مسدساتهم ، وإلى
اليسار ، رجلان مسلحان ، وخلف (أدهم) رجل
واحد .. ولكى تكتمل الصورة نقول : إن (أدهم) كان
يقف إلى اليمين و (منى) إلى اليسار ، فى اللحظة التى
التفتت فيها (شاهيناز كاظم) عنهما ..

بدأت المعركة فى سرعة خاطفة ، وكأنما انتقلت الأفكار من رأس (أدهم صبرى) إلى رأس زميلته ، فتحركا معًا فى دقة مذهلة ، وتوافق رائع .

فى اللحظة الأولى تحركت قدم (أدهم) اليسرى إلى الخلف ، فأطاحت بمسدس الرجل الذى يقف خلفهما ، ثم دار حول نفسه على أطراف أصابعه فى رشاقة تثير حسد لاعبى الباليه ، وهشّم أنف الرجل بلكمة ساحقة أخرجته من دائرة القتال ، ثم تحرّك (أدهم) و (منى) معًا ، فقفز هو إلى الأمام ، وأطاح بمسدس (شاهيناز) بضربة من راحته اليسرى ، ثم صفعها بيمناه صفعة قوية ألقت بها فوق زوجها ، وسقط كلاهما أرضًا ، فى نفس اللحظة التى قفزت فيها (منى) إلى اليسار ، فى رشاقة أنثوية عجيبة ، وطوّحت بحقيبتها ليطير مسدس أول الرجلين إلى يسارها ، ثم ركلت مسدس الرجل الثانى بقدمها اليسرى ، وهوت على فك الرجل الأول بقبضتها ، فترنح فى مكانه ، ولكنها عاجلته بركلة من يمناها فى أنفه أسقطته كالحجر ، واستدارت لتلكم الرجل الثانى ، ولكنه تلقى لكمتها على راحته اليسرى ، وألقى قبضته نحو وجهها فى قوة ، ولكنها تفادتها فى مهارة ، وغاصت قبضتها اليسرى فى معدة الرجل ، ثم هوت قبضتها اليمنى على أنفه ، وسقط الرجل ليلحق بزميله على أرض بهو القصر ..

وفى نفس اللحظة التى سقطت فيها (شاهيناز) ، رفع الرجال الثلاثة إلى اليمين مسدساتهم نحو (أدهم صبرى) ، ثم اتسعت عيونهم دهشة ، فقد خيّل إليهم أنه قد اختفى فجأة ، ثم تنبهوا إلى أنه قد قفز عاليًا فى سرعة مذهلة ، وقبل أن يرفعوا مسدساتهم نحوه ، كان قد هبط على قدميه أمامهم تمامًا ..

خيّل للرجال الثلاثة أن (أدهم) قد هبط فوق رءوسهم لا أمامهم ، فقد تهشّم فك أولهم بلكمة ساحقة ، وصرخت معدة الثانى فى ألم ، عندما أصابتها مطرقة من الصلب ، كما خيّل لصاحبها ، وشعر الثالث وكأن حجرين ضخمين قد أصابا وجهه فى قوة مذهلة ،

فتحطم أنفه بألم شديد ، وتكسرت أسنانه الأمامية فى صرير
مزعج ، واسودت الدنيا أمام عينيه ، فلحق بزميله متكومًا
على أرض البهو ..

مدّت (شاهيناز) يدها فى سرعة نحو مسدسها الملقى
على الأرض ، ولكنها فوجئت به يُقْذَف بعيدًا إثر ركلة من
قدم (أدهم) ، وعندما رفعت رأسها رأت مسدسه مصوّبًا
إلى رأسها ، وسمعته يقول فى سخرية ، موجّهًا حديثه إلى
زميلته :

ـ ما هذا الأداء الرائع يا زميلتى العزيزة ؟.. من
الواضح أن تدريبات القتال المتوالية قد أثمرت بشكل
مدهش .

أومأت (منى) برأسها ، وهى تبتسم فى سعادة
قائلة :

ـ إننى أحاول أن أصل إلى خُمس مهارتك ، يا زميلى
العزيز .

نهض (حشمت) واقفًا على قدميه ، وتبعته (شاهيناز) ،

وأخذا يعدلان من ثيابهما ، وقال (حشمت) فى غطرسته
المألوفة :

ـ لو أنك تظن أننى سأسلمك الصرز ، لمجرد أنك
تجيد القفز وتوجيه اللكمات ، فأنت واهم أيها المصرى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية وقال :

ـ ربما أجيد أيضًا توجيه الرصاصات إلى رأسك
يا (حشمت) بك .

برقت عينا (شاهيناز كاظم) ببريق النشوة ، وهى
تقول :

ـ افعل لو كنت تستطيع أيها الشيطان المصرى .

نظر إليها (أدهم) فى دهشة ، ثم ضاقت عيناه وهو
يقول فى سخرية :

ـ يبدو أن صديقتنا (شاهيناز) هانم تودّ التخلُّص
منك يا (حشمت) بك ، بعد أن عملت على توريطك فى
أعمال الجاسوسية .

امتقع وجه (شاهيناز) وهى تنظر إلى زوجها من طرف

خفىّ ، على حين حدجها هو بنظرة محنقة ، ثم عاد يلتفت إلى (أدهم) ، ورفع رأسه فى كبرياء ، وهو يقول :

— اقتلنى يا (أدهم) بك ، ولكنك لن تحصل على الصور أبدًا .

وقفز فجأة إلى الأمام وهو يصيح ، متخليًا عن وقاره :

— أنت الخاسر أيها المصرى .

وهنا صرخت (منى) صرخة ألم ، عندما طار مسدسها فى الهواء ، بعد أن أصابته مدية حادة ، وشعر (أدهم) بذراعين فولاذيتين يطوّقانه ، وانفجر فى البهو الواسع صوت ضحكات (عصمت لاظوغلى) الساخرة الشامتة .

* * *

برغم قوة (أدهم) التى تفوق حجمه ، وجسده الرياضى المشوق ، إلّا أنه شعر بذراعى (عصمت) ترفعانه عن الأرض فى قوة عظيمة ، وبساعديه يضغطان على صدره ككلّابة من الفولاذ ..

كان من الواضح أن (عصمت لاظوغلى) يتمتع بقوة مذهلة ، وجسارة مدهشة ، فقد شعر (أدهم) بالاختناق ،

وغامت الدنيا أمام عينيه ، وسقط مسدسه من يده أرضًا ، فى نفس اللحظة التى قفزت فيها (شاهيناز كاظم) فى رشاقة أدهشت حتى زوجها ، ولكمت (منى) لكمة قوية ألقتها أرضًا ، ثم تناولت مسدسها وصوّبته إلى رأسها ، وهى تقول فى شماتة :

— لقد خسرتما أيها المصريان .

وفى نفس الوقت كان (أدهم) يحاول بكل قوته التخلّص من ذراعى (عصمت) الفولاذيتين ، على حين انطلق هذا الأخير يضحك فى جنون وشماتة ، وهو يزيد من ضغط ساعديه على صدر (أدهم) ، قاصدًا تهشيم ضلوعه ..

وفجأة تحرّكت قدم (أدهم) ، حاملة كل قواه فى ركلة قوية بين ساق (عصمت) ، الذى صرخ فى قوة وألم ، وتراخت ذراعاه ، اللتان تطوّقان (أدهم) .

انزلق (أدهم) من بين ذراعى (عصمت) ، ووقف على قدميه ، ثم استدار فى سرعة مذهلة مواجهًا خصمه ،

الذى هوى بقبضته على فك (أدهم) كالقنبلة ، وهو يصرخ فى شراسة ووحشية كحيوان جريح .

تفادى (أدهم) لكمة (عصمت) فى اللحظة الأخيرة ، ثم دفع بإرادته وقوته فى قبضتيه ، وانطلق باليمنى فى لكمة ساحقة غاصت فى معدة (عصمت) ، حتى كادت تلامس عموده الفقرى ، وأعقبها باليسرى فى نفس المكان ، ثم ركله مرة أخرى بين ساقيه ، مما أجبر (عصمت) على الانحناء إلى الأمام .. وهنا اتجهت قبضتا (أدهم) كالمدفع الرشاش تكيلان اللكمات إلى فك (عصمت) وأنفه وعنقه ، حتى تفجرت الدماء من وجه هذا الأخير ، وأطلق من حنجرته خوارًا مزعجًا كخوار الثور ، وهوى فاقد الوعى ، ملوثًا سجادة البهو الثمينة بدمائه .

* * *

كانت عينا (شاهيناز) تبرقان ببريق النشوة ، والاستمتاع ، عندما التفت إليها (أدهم) ووجدها تصوب مسدسها إلى رأس (منى) ، فعقد ذراعيه أمام صدره ، وقال فى سخريته المألوفة :

ـ هل أمتعك العرض إلى هذا الحد يا (شاهيناز) هانم ؟

هزت مسدسها ، وهى تقول فى طرب :

ـ من الواضح أنك تتمتع بمهارات أعلى مما يظن الجميع ، أيها المصرى الوسيم .

ضاقت عينا (أدهم) وهو يتأملها قائلًا :

ـ ومن الواضح أيضًا أنك مريضة بالسادية وحب التعذيب ، يا (شاهيناز) هانم .

تفجر الغضب فى ملامح (شاهيناز) ، وصاحت :

ـ يؤسفنى أن أشوه وسامتك ، برصاصة بين عينيك يا (أدهم) بك .

هز (أدهم) كتفيه فى استهتار وسخرية ، ثم توجه بحديثه إلى (حشمت) قائلًا :

ـ ألم تلاحظ حتى الآن أن زوجتك كانت تخدعك منذ زمن طويل يا (حشمت) بك .

نظر (حشمت) إلى زوجته ، وقال فى حنق :

— أطلقى النار على رأسه يا (شاهيناز) هانم .

وفجأة قفز (أدهم) إلى اليسار ، وأطلقت (شاهيناز) رصاصة من مسدسها أخطأته ، واندفع هو إلى الأمام قبل أن تطلق هى رصاصتها الثانية ، فضرب مسدسها بحافة راحته ، ثم حملها بين ذراعيه وهى تصرخ من القهر والغيظ ، وألقاها فوق (حشمت) ، الذى لم يفق من أثر المفاجأة بعد .. وقبل أن ينهض (حشمت) من سقطته ، أصابته لكمة من لكمات (أدهم) القاسية ، فاصطدم رأسه بالأرض وفقد وعيه ، وشعرت (شاهيناز كاظم) بيد قوية تجذب شعرها الكستانى الطويل فى قسوة ، ثم تصفعها فى قوة دار لها رأسها ، وغابت عن الوعى .

التقط (أدهم) المسدس الملقى على الأرض ، يتصاعد من فوهته الدخان ، وهو يقول لزميلته فى لهجة ساخرة :

— أتعشم أن تجيدى السباحة يا زميلتى العزيزة .

ثم التقط حقيبة (شاهيناز) الصغيرة ، و (منى) تردد فى دهشة :

— السباحة ؟.. ولم ؟

وقبل أن تعترض ، حملها (أدهم) بين ذراعيه ، واندفع نحو نافذة زجاجية ضخمة فى طرف البهو ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجال (حشمت) إلى داخل البهو ، واتسعت عيونهم دهشة من المشهد بأكمله ..

كان زعيمهم وزعيمتهم فاقدى الوعى ، و (عصمت) الضخم مضرج فى دمائه ، وستة من زملائهم متناثرين على أرضية البهو ، ورجل يحمل فتاة ، ويندفع بها نحو نافذة زجاجية ضخمة ..

أسرع الرجال يصوبون مسدساتهم نحو الرجل والفتاة ، وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة الأولى ، كان الرجل قد قفز بشكل يشبه ما يفعله رياضيو الألعاب الأوليمبية ، موليًا ظهره إلى النافذة ، ومحطمًا إياها ، ثم غاب خلفها ، وزميلته بين ذراعيه ، وسمع الرجال صوت ارتطام جسديهما بمياه مضيق البوسفور ، الذى تطل عليه النافذة الضخمة مباشرة .

أسرع رجال (حشمت كمال) إلى النافذة المحطمة ، يطلقون النار على الهاربين ، ولكن مياه البوسفور ظلت ساكنة ، دون أن تطفو فوقها رءوس الهاربين .. كان من الواضح أنهما قد نجيا ، أو .. قضيا نحبهما .

* * *





وقبل أن تعترض ، حملها (أدهم) بين ذراعيه ، واندفع نحو نافذة زجاجية ضخمة ..

٦ ـ فى أعماق البوسفور ..

تطلّع اليوزباشى (شوكت ناظم) ، مفتش المباحث الجنائية التركية ، من النافذة الزجاجية المحطّمة إلى مياه مضيق البوسفور ، ثم هزّ رأسه ، وأشعل سيجارته فى بطء ، يمنح نفسه الوقت الكافى لترتيب أفكاره ، واستدار فى هدوء مواجهًا (حشمت) و (شاهيناز) ، وتحكّم فى أعصابه تمامًا وهو يقول :

ـ إذن فهو لص جرىء ، ذلك الذى حطّم النافذة يا (حشمت) بك .

أشعل (حشمت) سيجاره ، وقال فى غطرسة :

ـ سبق أن أخبرتك بذلك أيها المفتش .

نفث (شوكت ناظم) دخان سيجارته ، وترافصت على طرف فمه ابتسامة ماكرة ، وهو يقول :

ـ هذا عجيب يا (حشمت) بك .. لقد قال



جيرانك إن شخصين هبطا من النافذة المحطّمة إلى أعماق البوسفور .. رجل وفتاة على وجه التحديد .

ابتسمت (شاهيناز) فى خبث ، وقالت :

ـ من الصعب تمييز جسم يهبط بسرعة الجاذبية الأرضية ، من هذه المسافة الصغيرة نسبيًّا أيها المفتش .

هزّ المفتش رأسه متظاهرًا بالاستسلام ، وقال :

ـ ربما يا هانم ، ولكن لماذا أطلق رجالكم عشرات الرصاصات ، خلف لص لم ينجح على حدّ قولكما فى سرقة شىء ؟

قال (حشمت) فى غطرسة :

ـ القانون يعطينا حق الدفاع عن النفس ضد اللصوص أيها المفتش ، ورجالى لديهم تصاريح بحمل السلاح .

ابتسم المفتش فى سخرية ، وقال :

ـ هكذا ؟!.. هذا عظيم .. ما رأيك إذن فى أن جيرانك أقرّوا بأنك قد استقبلت زائرين .. رجلًا وفتاة ، فى سيارة (سبور) حمراء ، وأنهما لم يغادرا قصرك بعد ذلك .

ضحكت (شاهيناز) فى سخرية ، وقالت :

ـ بالعكس .. لقد غادرا القصر بعد نصف ساعة من قدومهما ، ولكن يبدو أن جيراننا غير محترفين فى مجال المراقبة .

كتم المفتش (شوكت) ابتسامة كادت تقفز إلى شفتيه ، ولكنه لم يخبرهما بأن هؤلاء الجيران هم رجال شرطة ، وضعهم هو نفسه لمراقبة القصر ، عسى أن يحصل على ما يمكنه من إلقاء القبض على (حشمت) و (شاهيناز) بتهمة تجارة المخدرات .. وعلى العكس ، فقد تظاهر بالحيرة وهو يشير إلى عين (حشمت) قائلًا :

ـ يبدو أن هذا اللص قوى للغاية ، فقد تورّمت عينك تمامًا يا (حشمت) بك ، وأحمر خد (شاهيناز) هانم .

ثم التفت إلى (عصمت) ، وقال فى سخرية خفيّة :

ـ ولقد تحطّم أنفك تمامًا يا عزيزى (عصمت) ، وكأنك سقطت من الطابق الثالث على وجهك مباشرة .

زمجر (عصمت) فى غضب ، ولكنه لم يتفوّه بكلمة ، فاستدار المفتش (شوكت) يتطلّع إلى رجال (حشمت)

السة الذى قاتلهم (أدهم) و (منى) ، ثم ابتسم وقال :

— عجبًا يا (حشمت) بك .. إن وجوه رجالك هؤلاء تشير إلى أنهم قد واجهوا جيشًا كاملًا من المحترفين لا لصًا واحدًا .

قال (حشمت) فى غطرسة :

— سيشهد رجالى كلهم على ما أقول أيها المفتش .

ابتسم المفتش (شوكت) فى مرارة ، وقال :

— أعلم ذلك يا (حشمت) بك .. أعلم ذلك يا (شاهيناز) هانم .. هذا ما يحدث فى كل مرة .

ثم واجه (حشمت) ، وقال فى تحدٍّ :

— سيأتى يوم أجد فيه دليلًا لا يقبل الشك يا (حشمت) بك .. ويومها سيسعدنى إلقاء القبض عليك بتهمة تجارة المخدرات .

ابتسم (حشمت) فى استهتار ، وقال :

— يمكنى أن أقاضيك على هذا القول أيها المفتش .

ضحك المفتش وقال فى حنق :

— أعلم ذلك يا (حشمت) بك .. ولكننا سنلتقى يومًا فى ظروف مختلفة ، وأعدك وقتئذ أن القضية ستكون من نصيبك أنت .

* * *

لم يكد المفتش (شوكت) ينصرف ، حتى التفت (حشمت) إلى رجاله ، وأشار إليهم بالانصراف ، ثم أشار إلى زوجته بالجلوس ، وجلس أمامها واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى ، ومدخنًا سيجاره فى كبرياء واضحة ، وأشعلت هى بدورها سيجارة رفيعة تستقر فى طرف مبسم طويل ، ونفثت دخانها فى عظمة ، وساد الصمت بينهما لحظات ، ثم قال (حشمت) فى صوت ينم عن الغضب :

— والآن يا (شاهيناز) هانم ، أعتقد أنه من حقى الحصول على التفسيرات المطلوبة .

رفعت (شاهيناز) حاجبيها الرفيعين فى غطرسة ، وقالت :

— أية تفسيرات يا (حشمت) بك ؟

عضَّ على شفتيه فى غيظ ، ولكن صوته خرج هادئًا وهو يقول :

— حسبما أذكر ، فإن نشاطى فى سنوات ما قبل زواجنا ، كان يقتصر على تجارة التبغ وبعض العبث فى مجال المخدرات ، أما بعد أن التقينا فى (أنقرة) ، وتم زواجنا بالصورة التى اقترحتها أنت ، فقد تحوّل نشاطى بناءً على اقتراحك إلى الجاسوسية التجارية ، حيث نحصل على أسرار الدول ، ونقوم ببيعها إلى الدول المنافسة لها .. وأعتقد أن نشاطنا كان يتركز فى كثير من الأحيان على مصر ، وأسرارها العسكرية .

قالت (شاهيناز) فى غطرسة :

— اختصر ما تريد قوله يا (حشمت) بك .

قال (حشمت) فى لهجة واضحة الحنق :

— أريد أن أقول إنك تعملين مع (الموساد) من قبل أن نتزوج ، وأنك نجحت فى خداعى وتجنيدى للعمل معك طوال سنوات زواجنا السبع .

سحبت (شاهيناز كاظم) من سيجارتها الرفيعة نفسًا عميقًا ، ثم نفثته فى قوة وضيق ، وانتظرت قليلًا قبل أن تقول فى برود :

— وماذا فى ذلك ؟..

اتسعت عينا (حشمت) وهو يقول :

— هل تعترفين بهذه البساطة ؟

هزّت كتفيها فى غير مبالاة وقالت :

— إنها ليست جريمة بالقياس إلى تجارة المخدرات يا (حشمت) بك .. بل إننى أعتبرها أكثر أناقة .

تمتم (حشمت) فى دهشة :

— أكثر أناقة ؟

قالت (شاهيناز) فى غطرسة :

— نعم ، أكثر أناقة ، وأكثر إثارة ، ثم إنها تدرُّ أموالًا طائلة فى عمليات أبسط .. عملية تلك الصور العسكرية على سبيل المثال .. لقد تكلّفت عشرة آلاف دولار ، برغم السخاء الشديد فى الإنفاق .. كم ستحصل منها ؟..

مليون دولار دفعة واحدة .. هل تأتيك نفس نسبة الربح من المخدرات ؟

صاح (حشمت) فى حنق :

ــ ولكن تجارة المخدرات تدفع رجال الشرطة فقط لمحاربتنا ، أما الجاسوسية فهى تطلق دولًا كاملة فى أثرنا ، بكل إمكاناتها ورجالها .

برقت عينا (شاهيناز) ، وهى تقول :

ــ لكل شىء ثمنه يا (حشمت) بك .

أشاح (حشمت) بكفه ، وقال فى ضجر :

ــ كَفَىَ يا (شاهيناز) هانم .. لقــد انتهى كل شىء .. سأدمِّر الصور ، ولن أعمل فى هذا المجال مرة أخرى .

تراجع رأس (شاهيناز) وهى تضحك فى سخرية ، ثم قالت :

ــ سبق السيف العزل يا (حشمت) بك .. هل تعلم من هو (أدهم صبرى) ، هذا الذى يسعى خلف

الصور ؟.. إنه أقوى ضابط مخابرات فى العالم أجمع .. الوحيد الذى يعمل بوجه عار فى منتهى الجرأة والاستهتار .. إن له ملفًا فى (الموساد) يفوق حجمه حجم ملفات دول بأكملها .. إن نصف مخابرات العالم ترتجف لمجرد ذكر اسمه .

تابعها (حشمت) فى دهشة ، على حين استطردت هى فى هدوء :

ــ وهذا الرجل لم يُهزَمْ قط من قبل ، وهو عنيد إلى درجة أنه ما دام يسعى خلفك ، فلن يتراجع حتى ينتصر أو يموت .

وأطفأت سيجارتها ، وهى تتابع بصوت ماكر :

ــ فلتتوقَّف عن أعمال الجاسوسية كما يحلو لك يا (حشمت) بك ، ولكن مهمتك الأخيرة ستكون ــ على الرغم منك ــ القضاء على (أدهم صبرى) ، أو البحث عن جثته فى أعماق البوسفور ، وإلَّا فإنه لن يتوقَّف حتى يمزِّقك إربًا .

* * *

٧ ـ هجوم فى الظلام ..

عطست (منى توفيق) فى قوة ، ثم مسحت أنفها ، ولملمت أطراف منشفة ضخمة حول كتفيها ، وهى تقول فى ضعف :

ـ سأصاب بالزكام ولا شك ، بعد هذا الحمام الإجبارى .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يجفف وجهه :

ـ هذا أفضل من الإصابة بثقب فى الجمجمة يا عزيزتى .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ لماذا لم نستغل الفرصة ، ونحصل على الصور بدلاً من أن نقفز فى البوسفور ؟

فتح (أدهم) علبة أدوات التنكّر الخاصة به ، وهو يجيب :



— لقد أطلقت (شاهيناز) مسدسها يا عزيزتى ، وكان من الطبيعى أن يهرع رجالها إلى بهو القصر ، ولم يكن لدينا الوقت الكافى للبحث .

ثم تناول أنبوبًا صغيرًا وهو يتابع :

— ولقد أخذت حقيبة (شاهيناز) ، متصوّرًا أنها تحوى الصور كما قالت ، وها قد رأيت أنها لم تكن صادقة .

سكب (أدهم) محتويات الأنبوب فى كوب صغير ، فاصطبغ باللون الأشقر .. وهنا سألته (منى) :

— هل تنوى تبديل ملامحك مرة أخرى ؟

ابتسم وهو يقول :

— بالطبع يا عزيزتى .. فسأذهب وحدى فى زيارة لقصر (حشمت كمال) هذا المساء .

* * *

توقفت سيارة سوداء فاخرة أمام باب قصر (حشمت كمال) ، وهبط منها رجل طويل القامة ، أشقر الشعر ، أسود العينين ، يرتدى منظارًا طبيًا ، وله شارب ولحية

كثيفين ، استقبلته (شاهيناز) فى احترام ، وانحنى هو يقبّل أناملها ، قائلًا فى صوته الأجش :

— من دواعى سرورى أن أحظى بمقابلتك يا (شاهيناز) هانم .

ابتسمت (شاهيناز) ، وقالت باليونانية :

— لقد سمعت عنك كثيرًا يا مستر (كرياكوس) ، ولكنها المرة الأولى التى نتقابل فيها .

لوّح بكفّه فى حركة مسرحية مصطنعة ، وقال :

— أوه !! لقد أضعت من عمرى الكثير يا هانم .

صعدا فى درجات القصر ، وهو يتأبط ذراعها ويواصل دعاباته ، حتى طالعه وجه (حشمت) جامدًا ، فترك ذراعها ومدّ يده يصافحه قائلًا :

— مرحبًا يا (حشمت) بك .. أتعشم أن يكون مزاجك رائقًا هذا المساء .

مطّ (حشمت) شفتيه ، وقال :

— المهم أن يبقى كذلك بعد لقائنا يا مستر (كرياكوس) .



صعدا فى درجات القصر ، وهو يتأبط ذراعها ويواصل دعاباته ، حتى طالعه وجه (حشمت) جامدًا ..

قال (كرياكوس) ، وهو يجلس على أول مقعد يصادفه :

— هذا ما أخشاه يا (حشمت) بك .. فقد بدا صوتك باردًا حينما حدثتك تليفونيًا منذ نصف ساعة .

أسرعت (شاهيناز) تقول ، وهى ترسم على شفتيها ابتسامة جذابة :

— لقد كان حضورك مفاجئًا لنا يا مستر (كرياكوس) .

هزّ (كرياكوس) كتفيه ، وقال :

— لقد كان كذلك بالنسبة لى أيضًا يا (شاهيناز) هانم .. فقد تلقيت الأمر بذلك منذ ساعة واحدة .

قال (حشمت) بلهجة جافة :

— هل أحضرت المبلغ يا مستر (كرياكوس) ؟

أومأ (كرياكوس) برأسه ، وقال :

— بالطبع يا (حشمت) بك .. مليون دولار ، لا تنقص سنتًا واحدًا ، ولكننى ينبغى أن أرى الصور أولًا .

ظهر الغضب على وجه (حشمت) ، ونظر إلى زوجته فى حنق ، فأسرعت تقول :
ـ لقد حاول أحد رجال المخابرات المصرية خداعنا ، ظهر اليوم وطلب المطلب ذاته .
اعتدل (كرياكوس) ، وظهر الاهتمام على ملامحه وهو يقول :
ـ المخابرات المصرية ؟!! .. أعتقد أنه من الأفضل أن أعرف القصة كلها يا (شاهيناز) هانم .
قصّت عليه (شاهيناز) محاولة (أدهم) و (منى) ، واستمع هو إليها فى اهتمام بالغ حتى انتهت من حديثها ، فقال :
ـ إذن فقد دخل الشيطان المصرى إلى اللعبة .. هذا خطر .. خطر للغاية يا هانم ، فهذا الرجل (أدهم صبرى) لا يتنازل عن النصر مطلقًا .
سألته (شاهيناز) فى اهتمام :
ـ ما الخطوة الصحيحة فى رأيك يا مستر (كرياكوس) ؟

صمت (كرياكوس) لحظة مفكرًا ، ثم قال :
ـ ينبغى أن نتم الصفقة فى الحال يا هانم .. هذا هو الحل الأمثل .. فما أن أرحل والصور فى حوزتى ، حتى تكون مهمة هذا الشيطان المصرى قد فشلت .
تكلّم (حشمت كمال) بعد طول صمت ، فقال فى مزيج من الحنق والغطرسة :
ـ ليكن فى علمكم أن هذه المهمة ستكون آخر أعمالى فى مجال الجاسوسية ، يا مستر (كرياكوس)
ابتسم (كرياكوس) فى مكر ، واختلس النظر إلى (شاهيناز) التى ابتسمت فى سخرية ، ثم قال :
ـ ليكن ما يكون يا (حشمت) بك .. المهم أن أحصل على الصور الإيجابية والسلبية الآن .
نهضت (شاهيناز) من مقعدها ، وقالت وهى تغمز بعينها إلى (كرياكوس) :
ـ حسنًا يا مستر (كرياكوس) .. سأذهب أنا لإحضار الصور ، فى الوقت الذى تقوم فيه بمراجعة وتسليم المبلغ إلى زوجى العزيز .

وضع (كرياكوس) حقيبته على المنضدة المقابلة ، وفتحها وهو يقول :

ـ ها هو ذا المبلغ يا (حشمت) بك .. يمكنك أن تعده .

أشار (حشمت) بيده إشارة متعالية ، ولكنه تنهد فى ارتياح ، عندما وقع بصره على الأوراق المالية الخضراء التى تملأ الحقيبة عن آخرها .

* * *

اتجهت (شاهيناز) فى مرح واضح نحو غرفتها ، لإحضار الصور العسكرية السرية ، عندما اعترضها أحد رجال (حشمت) قائلًا :

ـ هناك مكالمة لك على الهاتف الخاص يا (شاهيناز) هانم .

قطبت حاجبيها ، وقالت :

ـ حسنًا يا (صفوت) .. سأتلقاها فى غرفتى .

دخلت (شاهيناز) غرفتها ، وهى تتساءل فى دهشة عمن يتصل بها فى مثل هذا الوقت على الهاتف الخاص ..

ولم تكد تضع سماعة الهاتف على أذنها ، حتى جاءها صوت مألوف ، فازدادت دهشتها وهى تقول :

ـ مرحبًا يا مستر (شامير) .. أية ضرورة دفعتك للاتصال بى فى مثل هذا الوقت ؟

جاءها صوت (شامير داقيد) ، ضابط (الموساد) العجوز ، وهو يقول فى غضب واضح :

ـ أية حماقة هذه التى ارتكبتماها أنت و (حشمت) يا (شاهيناز) ؟.. هل أصابكما الخبل أو الغرور ، عندما ذبحتما رجلنا (موشى إيزاك) ، واستوليتما على المليون دولار دون أن تصلنا الصور ؟

شحب وجه (شاهيناز) ، وقالت فى صوت خافت مضطرب :

ـ رجلكم ؟.. هل تعنى أننا قتلنا (موشى إيزاك) الحقيقى ؟

صاح (شامير) فى حدة :

ـ نعم .. لقد فعلتما أيها الغبيان .. لقد قتلتما أفضل عملائنا .. أين الصور العسكرية المصرية ؟

قالت (شاهيناز) فى ارتباك :

ــ لقد خدعتنا المخابرات المصرية يا مستر (شامير) ، وجعلتنا نعتقد أن (موشى) هذا زائف .. لقد خدعونا يا مستر (شامير) .

صاح (شامير) مغضبًا :

ــ أيها الأغبياء .. كان من الخطأ الاعتماد على الهواة أمثالكم .. أين الصور ؟

قالت (شاهيناز) محاولة تلطيف الموقف :

ــ اطمئن يا مستر (شامير) .. مازالت الصور فى حوزتنا ؟ .. لقد فشل (أدهم صبرى) نفسه فى الحصول عليها منا .

صرخ (شامير) فجأة ، وكأنما لدغه عقرب سام ، وصاح فى ذعر :

ــ (أدهم صبرى) ؟ .. (أدهم صبرى) نفسه ؟ .. يا للشيطان !! لا ريب أن هذه الصور خطيرة للغاية ، وإلا فما أرسلت المخابرات المصرية أفضل رجالها خلفها .. وأين هو (أدهم صبرى) الآن ؟

ترددت (شاهيناز) لحظة ، ولكن (شامير) أعاد سؤاله فى لهفة وحدة ، فأسرعت تقول :

ــ لست أدرى يا مستر (شامير) ، لقد سقط هو وزميله فى البوسفور ، ولم نر لهما أثرًا منذ ذلك الحين .

صاح (شامير) فى وجل :

ــ احرصى على الصور جيدًا يا (شاهيناز) هانم ، حتى أرسل من يتسلمها .. ضعى عليها أكبر وأقوى حراسة ممكنة .

ازدردت (شاهيناز) لعابها فى صعوبة ، وداعبت خصلة نافرة فى شعرها الكستنائى الناعم ، ثم قالت :

ــ لا تخش شيئًا يا مستر (شامير) .. سأسلمها إلى مستر (كرياكوس) فى الحال .

امتلأ صوت (شامير) بالدهشة وهو يقول :

ــ (كرياكوس) ؟! .. (كرياكوس) من بحق الشيطان ؟

ارتجفت شفتا (شاهيناز) ، وهى تقول :

— إننى أقصد (اسحق بيريز) مدير مكتب (اليونان) .. إن (كرياكوس) هو اسمه الحركى .. إنه يجلس مع (حشمت) فى هذه اللحظة ينتظر أن أسلمه الصور .

صرخ (شامير) فى دهشة تمتزج بالحنق :

— يجلس معك الآن ؟!! .. يا للشيطان !! إننى أتحدث إليك الآن من مكتب (كرياكوس) فى اليونان ، أيتها الحمقاء ، وهو يجلس إلى جوارى .. إن (كرياكوس) الذى يجلس معكم هذا زائف .. فليقطع ذراعى إن لم يكن هو نفسه (أدهم صبرى) .. الشيطان المصرى .

* * *

٨ ــ الخدعة الرهيبة ..

بذلت (شاهيناز كاظم) مجهودًا خارقًا ، لتحافظ على هدوء أعصابها وهى تخطو إلى داخل البهو ، وتبتسم فى هدوء .. وأدهشها هدوء (كرياكوس) الشديد وهو يتحدث إلى (حشمت) ، متظاهرًا بعدم الاهتمام بقدومها ، حتى جلست إلى جوار زوجها ، وقالت وهى تتفرس فى ملامح (كرياكوس) ، محاولة استشفاف ما بداخل نفسه :

— لا ريب أنك تحتاج إلى بعض الراحة ، بعد رحلتك من اليونان إلى هنا يا مستر (كرياكوس) ؟

هزّ (كرياكوس) كتفيه ، وقال :

— ليس إلى هذا الحدّ يا (شاهيناز) هانم .. لقد قدمت بطائرتى الخاصة .

ثم لم يلبث أن اعتدل قائلاً :



قطَّب (حشمت) حاجبيه وهمَّ بسؤال زوجته ، ولكنه عدل عن ذلك عندما لاحظ أنها قد رأت (عصمت) ..

ـ هل أحضرت الصور يا هانم ؟

ابتسمت (شاهيناز) في خبث ، وقالت :

ـ لا تتعجَّل يا مستر (كرياكوس) .. دعْنا نتبادل الحوار ، ونتناول العشاء أولًا .

تظاهر (كرياكوس) بعدم الاهتمام ، وقال وهو يفرك كفيْه :

ـ حسنًا يا (شاهيناز) هانم .. سنتناول العشاء أولًا .

وفي تلك اللحظة .. لمح (حشمت) (عصمت لاظوغلي) يتسلَّل على أطراف أصابعه خلف (كرياكوس) ، وقد ارتسمت على وجهه شراسة ووحشية لا مثيل لهما ، وهو يحرِّك مديته ذات النصل الحادّ بين أصابعه في توتُّر واضح .

قطَّب (حشمت) حاجبيه وهمَّ بسؤال زوجته ، ولكنه عدل عن ذلك عندما لاحظ أنها قد رأت (عصمت) بدورها ، ولكن ملامحها لم تعبِّر عن ذلك ..

كان من الواضح أن (عصمت) يتحرّك بناء على أوامر (شاهيناز كاظم) ، ولكن السؤال الذى أثار دهشة (حشمت) الشديدة هو : لماذا تقدِم (شاهيناز) على قتل (كرياكوس) ، الذى ينتمى إلى نفس جهاز المخابرات الذى تعمل هى من أجله ؟

كان من الجلىّ أن (كرياكوس) لم يشعر بقدوم (عصمت) ، الذى أصبح على بعد خطوات قليلة منه ، فقد كان صوته عاديًا وهو يقول :

— أنت تتقدّمين كثيرًا فى عمل المخابرات يا (شاهيناز) هانم .. لن يمضى وقت طويل قبل أن تتفوّق على المحترفين .

برقت عينا (شاهيناز) وهى تتطلّع إلى (عصمت) ، الذى رفع مديته استعدادًا لغرسها فى قلب (كرياكوس) من الخلف ، ونهضت محاولة التغلُّب على النشوة التى تعصف بكيانها ، من مرأى العنف الذى يوشك على البدء ، وتناولت كأسًا من الخمر قدمته إلى (كرياكوس) ، وهى تقول فى صوت مضطرب على الرغم منها :

— لقد أعددت هذه الكأس خصيصًا من أجلك يا مستر (كرياكوس) .

مدّ (كرياكوس) يده ليتناول الكأس وهو يقول :

— لا ريب أنها خمر الجنة يا أجمل الهوانم .

وفجأة تصلّبت يد (كرياكوس) ، وتسمّرت فى مكانها وهو يحدق فى الكأس فى دهشة ، فقد انعكست على سطحه صورة لرجل ضخم الجثة ، يقف خلفه تمامًا ، وبيده خنجر ذو نصل لامع ، يهوى به على ظهره فى شراسة واضحة .

* * *

هوى النصل اللامع فى الهواء نحو المقعد الذى يجلس فوقه (كرياكوس) ، ولكنه لم ينغرس فى قلبه ، بل فى المقعد نفسه ، فقد قفز (كرياكوس) إلى الأمام فى سرعة مدهشة مفاديًا النصل ، ثم دار على عقبيه ووجّه لكمة أودعها كل قوته إلى فك (عصمت لاظوغلى) ، الذى ترنح لحظة ، ثم قفز متجاوزًا المقعد ، وهابطًا فوق (كرياكوس) بجسده

الضخم ، وسقط الاثنان على الأرض يتبادلان اللكمات ..
وفى إرادة قوية لكم (كرياكوس) (عصمت) فى أنفه ، ثم قفز واقفًا ، وأسرع نحو المقعد محاولاً انتزاع المدية ، ولكن (عصمت) أحاط ساقيه بذراعيه ، وجذبه إليه ، ثم أسرع يطوّق صدره فى قوة فولاذية ، وهو يزمجر فى شراسة ، ووحشية مرعبتين .

قفز (حشمت) إلى الخلف وأمسك بذراع زوجته ، التى تسمّرت وهى تراقب ما يحدث فى نشوة عارمة ، وهزّها فى قوة وهو يصيح فى وجهها :

— ماذا يحدث هنا ؟.. لماذا تحاولين قتل (كرياكوس) ؟

أبعدت ذراعه فى غطرسة ، وقالت فى اشمئزاز :

— كفى غباءً يا (حشمت) .. هذا ليس (كرياكوس) .. إنه (أدهم صبرى) .

تراجع (حشمت) فى ذهول ، والتفت يحدق فى المتقاتلين ، غير مصدّق ما سمعه من زوجته ، وفى نفس

الوقت كان (عصمت) يواصل ضغطه على صدر (كرياكوس) ، ويحيط ساقيه بقدميه ، متفاديًا ركلات المرة السابقة ..

شعر (كرياكوس) باختناق شديد ، وبثقل هائل يضغط على ضلوعه ، وبالظلام يحيط به من كل جانب ، واختلط لهاثه بصرخات (عصمت) الوحشية ، وهو يزداد ضغطًا فى قوة أودعها غيظه وحقده من هزيمته السابقة ..

لهثت (شاهيناز كاظم) بدورها ، وومضت عيناها ببريق شديد ، عندما ارتفع فى الغرفة صوت ضلوع (كرياكوس) ، وهى تتهشّم تحت ضغط عضلات (عصمت) الفولاذية ، وصاحت فى نشوة عارمة :

— لقد انتهى .. لقد قضينا على (أدهم صبرى) .

ارتجف جسدها فى رعب هائل وارتجف (حشمت) ، وسقط سيجاره من فمه .. وقفز (عصمت) وكأنما أصابته صاعقة عندما جاءهم من طرف البهو صوت هادئ ساخر ، يقول فى تهكّم واضح :

— ليس بعد أيها الأوغاد .. إنما هى نهايتكم أنتم .

* * *

كادت الدموع تقفز من عينى (شاهيناز) ، وارتجفت عضلات وجه (حشمت) فى شدة ، وزمجر (عصمت) فى وحشية ، عندما وقعت أبصارهم على الشاب الأشقر الشعر والشارب ، الذى يقف مستندًا إلى باب البهو ، وفى قبضته مسدس ضخم يحركه فى استهتار ، وفوق شفتيه ارتسمت ابتسامة تحمل الجرأة والسخرية والشماتة فى آن واحد ، وهو يرتدى الثياب المميَّزة لخدم القصر .

ألقت (شاهيناز) نظرة على (كرياكوس) ، الذى قضى نحبه ، واستلقى على أرض الغرفة جاحظ العينين ، ثم عادت تلتفت إلى الشاب الأشقر ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، وشعرت بغصة تدفعها إلى البكاء ، على حين قال (حشمت) فى ذهول :

— إذن فأنت ؟ .. أنت (أدهم صبرى) ؟!

قال الشاب فى سخرية واضحة :

— بالطبع يا (حشمت) بك .. هكذا ينادوننى فى إدارة المخابرات المصرية .

ثم وجه بصره شطر (شاهيناز) ، وقال فى تهكُّم شديد :

— ولكن فى هذا المكان من يعرفوننى باسم (شامير دافيد) .

لو أن فنانًا محترفًا أراد أن يرسم لوحة تعبِّر عن الذهول والقهر والانهيار فى مشهد واحد ، ما وجد أصدق من وجه (شاهيناز) فى هذه اللحظة ، فقد مادت بها الأرض ، وشعرت أن قدميها تعجزان عن حملها ، فتهاوت على أقرب المقاعد إليها ، وأجهشت بالبكاء ، وشعر (حشمت) أن قلبه يكاد يتوقَّف ، وزمجر (عصمت) فى شراسة ، على حين واصل (أدهم) حديثه قائلاً فى سخرية :

— إنكم تعملون ضد أقوى جهاز مخابرات فى الشرق الأوسط أيها الأوغاد .. لقد تحدَّيتم المخابرات المصرية ، فكان من الضرورى أن نلقنكم درسًا قاسيًا .. لقد تحرَّى رجالنا

علاقتك بالمخابرات المعادية يا (شاهيناز) هانم ، وعرفنا أنك لم تقابلى (كرياكوس) أو (اسحق بوريز) مطلقًا ، ومن هنا وضعت خطتى الصغيرة .

توقفت (شاهيناز) عن البكاء ، وأخذت تستمع إليه وهو يستطرد قائلًا :

ـــ لقد تمكَّنت من التسلُّل إلى داخل القصر ، متنكرًا فى هيئة أحد الخدم .. وبالمناسبة إن رجالك يا (حشمت) بك لا يهتمون بالتأكد من شخصية أى إنسان يرتدى هذا الزى ، وهذا قصور فظيع فى ستار الأمن الذى تحيط به نفسك .. المهم أننى توجهت من فورى إلى غرفتك الخاصة يا (شاهيناز) هانم ، حيث هاتفك الخاص ، وقمت بإضافة وصلة صغيرة إليه ، تمكننى من التحدُّث إليك من الهاتف الخاص فى غرفة (حشمت) بك .

عضَّ (حشمت) على شفتيه فى قهر ، وانسالت الدموع صامتة من عينى (شاهيناز) ، وهى تستمع إلى (أدهم) ، الذى أردف قائلًا :

ـــ وقبل أن أصل إلى هنا ، تلقَّى (كرياكوس) فى مكتبه الخاص باليونان ، ومن خلال هاتفه السِّرِّىّ ، أمرًا زائفًا بالقدوم إلى هنا ، وتسلُّم الصور .. ولم يتصوَّر بالطبع أننا نحن المخابرات المصرية أصحاب هذا الأمر الزائف ، فاستقل طائرته الخاصة ، وتوجَّه إلى هنا على الفور ، وهو يحمل المليون دولار فى حقيبته .. من المصاريف السرِّيَّة (للموساد) بالطبع .

ثم ضحك فى سخرية وتابع :

ـــ كان أظرف جزء فى الخطة هو عندما حدثتك ، مقلِّدًا صوت (شامير دافيد) ضابط المخابرات العجوز ، الذى أثبتت مخابراتنا اتصالك المتواصل به ، وأقنعتك تمامًا بأن الرجل الذى يجلس فى القصر ليس هو (كرياكوس) الحقيقى .. كان رد الفعل معروفًا مقدمًا ، فأنتم تقتلون لمجرد الشك ، وهكذا أسرعت بالتخلُّص من (كرياكوس) ، وحطَّم هذا الخنزير ضلوعه تمامًا .

زمجر (عصمت) فى غضب ، عندما لقبه (أدهم)



اتسعت عينا (حشمت) ذهولًا ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يعلم فيها أن ضحيتهم الأولى كان أحد ضباط الموساد ..

بالخنزير ، ولكن (أدهم) لم يلتفت إلى غضبه ، بل واصل حديثه قائلًا :

ـ والآن يا (شاهيناز) هانم ويا (حشمت) بك ، أنتما في موقف لا تحسدان عليه ، فقد قتلتما اثنين من ضباط الموساد .. (موشى إيزاك) و (اسحق بيريز) .

اتسعت عينا (حشمت) ذهولًا ، فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يعلم فيها أن ضحيتهم الأولى كان أحد ضباط الموساد بالفعل ، وواصل (أدهم) حديثه في هدوء :

ـ ولقد سرّبنا إلى الموساد معلومة زائفة ، تقول إنكم تتعاملون الآن مع المخابرات المصرية ، وهكذا أصبحتما أعداء للطرفين ، ولكن عبء الثأر يقع على الموساد وحده ، فقد قتلتما بوحشية رجلين من رجاله .

شعر (حشمت) بالغضب يعصف بكيانه ، فصاح محنقًا :

ـ هل رأيت نتيجة تورّطنا في أعمال الجاسوسية يا (شاهيناز) هانم ؟ .. لقد أصبحنا نحارب دولتين دفعة واحدة .. لقد حطّمت بعنادك وساديتك كل شيء .

قال (أدهم) فى هدوء وسخرية :

ـ لم تعد هناك سوى فرصة واحدة يا (حشمت) بك ..

التفت إليه (حشمت) فى ضراعة وتساؤل ، وقد تهاوت غطرسته تمامًا ، فقال (أدهم) وهو يعبث بمسدسه :

ـ الصور يا (حشمت) بك .. لو أنك سلّمتنى الصور الإيجابية والسلبية ، فسأضمن لك معاونة المخابرات المصرية فى مغادرة (استانبول) فى أمان ، بعيدًا عن ثأر المخابرات الأخرى .

قفزت (شاهيناز) من مقعدها صائحة :

ـ مستحيل .. مستحيل أيها الشيطان المصرى .. إننى أفضل الموت على أن ....

وقبل أن تتمّ عبارتها ، صرخ (عصمت لاظوغلى) صرخة وحشية قوية تدل على فقدانه لأعصابه ، واندفع نحو (أدهم) فى شراسة صائحًا :

ـ سأقتلك أولًا أيها المصرى .. سأقتلك أولًا .

* * *

٩ ـ الدمار الشامل ..

جلس المفتش (شوكت ناظم) فى مكتبه ، يفكّر فى وسيلة جديدة للإيقاع بـ (حشمت كمال) وعصابته التى تتجر فى المخدرات .. كان التفكير واضحًا فى كل جزء من ملامحه .. فى أنفه الطويل ، وفمه الواسع ، ووجهه الحليق ، وعينيه الضيقتين .. وكان يبدو وسيمًا بوجهه المستطيل وشعره الناعم الأسود ، الذى يرجعه إلى الخلف ، ويبقى فوديه اللذين كلّلهما الشيب ، فمنحه مظهرًا وقورًا رزينًا .. كان يدير قلمه بين أصابعه فى عصبية واضحة ، حينما دخل أحد رجال الشرطة وتنحنح أولًا ليخرجه عن صمته وتفكيره ، ثم قال :

ـ هناك فتاة حسناء تطلب مقابلتك يا سيّدى .. سائحة مصرية تدعى (منى توفيق) ، تقول إن لديها بعض المعلومات عن صفقة مخدرات تتم فى الخفاء .

تنبهت حواس المفتش (شوكت) بأكملها ، وقال وهو يحاول السيطرة على هياج مشاعره :

— دعْها تدخل فى الحال .

دخلت (منى) إلى غرفة المفتش (شوكت) ، وهى تتظاهر بالارتباك والحيرة ، فأشار هو إليها أن تجلس وهو يتفحصها بنظرة خبيرة ، ثم سألها متظاهرًا باللامبالاة :

— سمعت أنه لديك بعض المعلومات عن صفقة مخدرات سرية .

هزت كتفيها ، وقالت وهى تصبغ صوتها برنة الارتباك :

— الأمر كذلك تقريبًا يا سيادة المفتش .

اعتدل (شوكت) فى حدة ، وصاح فى وجهها :

— تقريبًا ؟! .. ألديك معلومات أم لا ؟

تظاهرت (منى) بالخوف ، وقالت :

— ربما أخطأت فهم الحديث يا سيادة المفتش ، فلغتى التركية ركيكة نوعًا ما .

استعاد (شوكت) هدوء أعصابه ، وعاد يسألها عما لديها .. فترددت لحظة ، ثم قالت :

لقد كنت أقوم بجولة سياحية ، مررت خلالها بالأثر الدينى المعروف باسم (أياصوفيا) ، وهناك جلست قليلًا للراحة فى أحد أركانه المظلمة .. وبينما كنت أنفض الغبار عن ثيابى تناهى إلى سمعى حوار جعلنى أحبس أنفاسى من الخوف .

سألها (شوكت) بفراغ صبر :

— ما هذا الحوار يا سيدتى ؟

تظاهرت (منى) بالخوف وهى تقول :

— لقد كان أحد المتحدثين يقول إن صفقة المخدرات ستكون موجودة فى حجرة النوم الخاصة ، فى قصر رجل يدعى (عفت) أو (حشمت) أو ....

قاطعها (شوكت) فى انفعال لم يستطع كتمانه :

— هل تقصدين (حشمت كمال) ؟

تهللت أسارير (منى) ، وكأنها تذكرت الاسم وهتفت :

— تمامًا .. فى قصر رجل يدعى (حشمت كمال) .

أشعل (شوكت) سيجارته فى عصبية واضحة ، وهو يسألها :

— هل ذكروا شيئًا عن الموعد ؟.. موعد تسليم الصفقة ؟

مطّت (منى) شفتيها ، وهى تقول :

— إنه التاسعة أو العاشرة من مساء اليوم .. فى القصر نفسه .

ارتجفت أصابع (شوكت) بشكل واضح ، وهو يسألها :

— هل رأيت أحد المتحدثين ؟

زوّت (منى) حاجبيها ، وهى تتظاهر بمحاولة التذكّر ، وأخذت تقول فى بطء :

— لقد كان أحدهما ضخم الجثة مليح الوجه ، وأعتقد أن الرجل الثانى كان يناديه باسم (عصمت) .

صاح (شوكت) فى فرحة لم يستطع كبحها :

— (عصمت لاظوغلى) .. أليس كذلك ؟

صاحت (منى) :

— بالضبط ..

ثم تظاهرت بالسذاجة وهى تقول :

— هل تعرفه يا سيادة المفتش ؟

نهض (شوكت) من مقعده وصافحها منهيًا المقابلة ، وهو يقول فى انفعال :

— شكرًا يا سيدتى .. إننى أشكرك جدًا .. وأعدك بمكافأة سخيّة إذا ما تأكد صدق قولك .

الشىء الوحيد الذى لم يلحظه (شوكت ناظم) ، هو تلك الابتسامة الماكرة المنتصرة ، التى ارتسمت على شفتى (منى توفيق) ، وهى تغادر مكتبه فى هدوء .

* * *

استمع النائب العام إلى حديث (شوكت ناظم) فى هدوء ، ثم نظر إلى ساعته وقال :

— إذن فأنت تطلب استصدار أمر بمهاجمة قصر (حشمت كامل) ، وضبط صفقة المخدرات فى حالة تلبّس .

قال (شوكت) فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

— إنها فرصتنا الأولى يا سيِّدى ، للقضاء على هذا التنظيم الإجرامى ، وربما تكون الأخيرة .

صمت النائب العام لحظة مفكرًا ، ثم قال :

— إنها التاسعة والربع الآن ، ولو أنك لم تجد شيئًا ، فبإمكان (حشمت) مقاضاتك والمطالبة بفصلك ، وسيكون له ما يطلب باسم القانون .

ازدرد (شوكت) لعابه ، وقال فى شجاعة :

— سأتحمل المسئولية كاملة يا سيِّدى ..

هزَّ النائب العام رأسه فى إعجاب ، ثم مال إلى الأمام ، وتناول قلمه وهو يقول :

— لن أكون أقل شجاعة وتحملاً للمسئولية منك أيها المفتش .. ستحصل على ما تطلب .

وفى شجاعة وثبات ، وقَّع النائب العام أمر الهجوم ، والقبض على (حشمت كامل) وزوجته السادية (شاهيناز كاظم) .

* * *

فى نفس اللحظة التى وقَّع فيها النائب العام التركى على أمر القبض ، كان (عصمت لاظوغلى) يندفع نحو (أدهم صبرى) ، وهو يصرخ صرخات وحشية مزعجة ، غير مبال بالمسدس المشهر فى يد (أدهم) .

كان بإمكان (أدهم) أن يطلق النار على رأس (عصمت) فيرديه قتيلاً ، ولكن شيئًا ما فى أعماق (أدهم) ورثه من أجداده العرب والمصريين ، كان يمنعه من إطلاق النار على رجل أعزل .. شيئًا يعرفه العالم أجمع باسم (الشهامة العربية) ..

انطلق عقل (أدهم) يعمل فى سرعة مذهلة كعادته .. كان يعلم أن مكمن الخطورة فى (عصمت لاظوغلى) هى عضلاته الفولاذية ، ولهذا كان من الضرورى أن يتحاشى (أدهم) هذه العضلات .. ومن هذا المنطلق وضع (أدهم) خطته القتالية ..

فلم يكد (عصمت) يصبح على قيد خطوة واحدة من (أدهم) ، حتى ضم هذا الأخير قبضته على مقبض

مسدسه ، ودفع بهذه الكتلة الفولاذية وهي تضم كل قواه ، لترتطم بفك (عصمت) كالقنبلة ، وتقذف به ثلاثة أمتار إلى الخلف ..

قفز (عصمت) واقفًا على قدميه ، وكأنما لم تؤثر فيه لكمة (أدهم) الساحقة ، وخرجت من حنجرته صرخة وحشية متحشرجة ، وهو يعاود الهجوم على بطلنا .. ولكن (أدهم) تلقَّاه بلكمة قوية في أنفه ، أعقبها في سرعة البرق أخرى في معدته ، ثم ثالثة بين عينيه .. وما أن ترنح جسد (عصمت) ، حتى قفز (أدهم) قفزة نادرة مذهلة بالغة الرشاقة ، عبر بها جسم (عصمت) في شكل رائع ، تدلَّت له فك (حشمت) ذهولًا، وبرقت له عينا (شاهيناز) نشوة .. أما (عصمت) نفسه فقبل أن يدرك ما حدث ، كانت قبضة (أدهم) تهوى كمطرقة من فولاذ على مؤخرة عنقه الضخم القوى ، فانطلقت من بين شفتيه حشرجة مزعجة ، وخار كالثور المريض ، ثم هوى على الأرض وقد جحظت عيناه ، ولم يكد يمسّها حتى غاب عقله عن الوعى تمامًا ، وتكوَّم كجوال من القطن .



حتى قفز (أدهم) قفزة نادرة مذهلة بالغة الرشاقة ، عبر بها جسم (عصمت) في شكل رائع ..

استدار (أدهم) فى سرعة ، مصوّبًا مسدسه إلى (حشمت) و (شاهيناز) مرة أخرى ، وقال فى سخرية :

ـ حسنًا .. مَن التالى ؟

تطلّعت إليه (شاهيناز) فى دهشة تمتزج بالإعجاب ، على حين تراجع (حشمت) فى رعب ، ولوّح بذراعيه أمام وجهه ، وكأنه يدرأ عن نفسه الخطر ، وتلاشت غطرسته تمامًا وهو يصيح فى ضراعة :

ـ لا .. لا .. سأسلمك الصور أيها المصرى .. دعْنى وشأنى وخذ ما تريد .

صاحت (شاهيناز) فى اشمئزاز وإصرار :

ـ تحدّث عن نفسك وحدك أيها الجبان ، أما أنا فلن أسلّمه الصور مطلقًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ رائع يا (شاهيناز) هانم .. إنك تركية من رأسك حتى أخمص قدميك .. وأعتقد أنه من الأفضل أن أطلق النار على كليكما .

صاح (حشمت) فى ذعر :

ـ لا .. لا .. إن الصور الإيجابية والسلبية فى غرفة (شاهيناز) هانم ، داخل خزانة سرّيّة فى ....

قاطعته (شاهيناز) صائحة :

ـ صَهْ أيها الجبان .

انفجر (حشمت) فى وجهها صائحًا :

ـ اصمتى أنت أيتها الحمقاء .. لقد حدث كل ما حدث بسبب عنادك وإصرارك على المضى فى أعمال الجاسوسية .

صرخت فى غضب عارم :

ـ بل هو غباؤك وجبنك أيها الرعديد .

ثم أشارت نحو (أدهم) مستطردة فى غضب :

ـ إن هذا الشيطان المصرى لا ينوى قتلنا على الإطلاق ، ولو أنه كذلك لكان من الأَوْلى أن يطلق النار على (عصمت) حينما هاجمه .

وتراجعت خطوة إلى الخلف وهى تقول :

— إنه يحاول خداعنا ليصل إلى غرضه و .....

وبترت عبارتها فجأة ، عندما تناهى إلى مسامعهم جميعًا صوت طلقات نارية فى حديقة القصر ، أعقبها صوت رجال (حشمت) يتصايحون ، وكان صوت أحدهم واضحًا وهو يصرخ قائلًا :

— الشرطة تهاجمنا أيها الزعيم .. إنهم يقتحمون القصر بالقوة .

وفى الحال قفزت (شاهيناز) إلى يسارها ، وانحنت تلتقط المدية التى انغرست فى المقعد إثر مهاجمة (عصمت) لـ (كرياكوس) ، ثم قفزت مرة أخرى ، لتغرسها بلا رحمة أو تردُّد حتى مقبضها فى صدر زوجها (حشمت كمال) .

* * *

١٠ — الشيطانة ..

جحظت عينا (حشمت كمال) وشحب وجهه ، وهو يحدّق فى زوجته بنظرات زائغة ، ومدّ يده محاولًا انتزاع المدية من صدره ، ولكن قواه خانته ، فتراخت ذراعاه ، وسقط على ظهره فاقد النطق .. وهنا منع (أدهم) نفسه فى صعوبة من إطلاق النار على رأس (شاهيناز) هانم ، وهو يقول فى اشمئزاز واضح :

— لم فعلت ذلك أيتها الشيطانة ؟

برقت عينا (شاهيناز) فى نشوة وقالت :

— لقد فقد هذا الجبان الآن القدرة على الاستسلام والاعتراف ، وبهذا أضمن فشلك أيها الشيطان المصرى .

لاحت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— أوتظنّين هذا أيتها الحقيرة ؟

ثم تراجع ، وفتح باب القاعة قائلًا :

— إننى أرى عكس ذلك يا (شاهيناز) هانم .

سألته فى شراسة لا تتناسب مع جمالها :

— ماذا تنوى أن تفعل ؟

أجابها فى سخرية وهو يقف على أعتاب القاعة ، ويصوِّب مسدسه إليها :

— لاشىء أيتها الجاسوسة الفاشلة .. سأسجنك فى هذا المكان ، حتى يجدك رجال الشرطة مع جثث ضحاياك .

صرخت فى حنق :

— لن يسمح لك رجالى بالهرب .. سيتمكّنون منك .

ضحك فى سخرية ، ثم ضاقت عيناه وهو يقول :

— هل أصابك الصمم ؟ .. ألا تسمعين صوت الرصاصات المتبادلة بين رجالك وقوات الشرطة ؟.. لن يهتم بك أحد .

ثم أردف قبل أن يغلق الباب خلفه :

— هكذا المجرمون دائمًا يا شيطانة البوسفور .. ما أن

تحين لحظة الخطر ، حتى لا يعود لأحدهم من همٍّ سوى الفرار والنجاة بجلده فقط .

قفزت (شاهيناز) محاولة اللَّحاق بالباب قبل أن يغلقه (أدهم) ، ولكن ضحكة هذا الأخير الساخرة ، اختلطت بصوت مفتاح الباب وهو يدور فى ثقبه .

* * *

أسرع (أدهم) مستغلًا الهرج الحادث ، من خلال القتال المتبادل بين قوات الشرطة ورجال (حشمت كمال) إلى غرفة (شاهيناز كاظم) ، ففتحها وتسلَّل إليها فى خفَّة مغلقًا الباب خلفه ، وأخذ يفحص المكان بعين خبيرة ، إلى أن توقَّف أمام النقش الرومانى الضخم ، الذى يزيِّن منتصف قائم سريرها تمامًا ، فاقترب منه يتحسَّسه بأصابعه ، ولم يلبث أن ابتسم فى سخرية قائلًا :

— يا له من مخبأ رائع !! أنت محترفة بحق يا (شاهيناز) هانم .

وأخذ يعبث بأصابعه الخبيرة المدرَّبة فى النقش الواضح ، غير مبال بوجود أية نظم للإنذار فى ظل هذه

الظروف ؛ وقد تركزت أفكاره ومشاعره كلها فى العمل الذى يقوم به ، حتى أنه لم ينتبه إلى توقُّف إطلاق النار المتبادل ..

مضت فترة قصيرة نسبيًا ، قبل أن يتناهى إلى سمعه صوت تكَّة خافتة ، افترَّ لها ثغره عن ابتسامة رضا ، وهو يقول فى نفسه :

ـ ها هو ذا حصنك المنيع قد انهار أمام صرح المخابرات المصرية ، يا شيطانة البوسفور .

ولكن (أدهم) لم يتصور لحظة واحدة ، مدى انطباق لقب شيطانة على (شاهيناز هانم كاظم) ، وعلى الفخ الذى وضعته لمن يحاول فتح خزانتها عنوة ، فلم يكد يجذب باب الخزانة السرِّيَّة حتى اشتعلت النيران فجأة أمام مدخل الغرفة ونوافذها ، وانتشرت بسرعة مذهلة لتطوِّق (أدهم) تمامًا ، قبل أن يجد الفرصة للخروج من الغرفة المغلقة .

* * *

بذلت (شاهيناز كاظم) جهدًا مستميتًا لإنعاش (صفوت لاظوغلى) ، فقد كانت تعلم تمامًا أن أملها

الوحيد فى الخروج من القاعة المغلقة ، هو عضلات (عصمت) الفولاذية .. ولم تلبث أن تنهَّدت فى ارتياح ، عندما ندت من فمه المغلق آهة تنم عن عودته إلى وعيه ، وسرعان ما فتح عينيه يحدِّق فيها فى ذهول ، فأسرعت تقول :

ـ أسرع يا (عصمت) .. لقد قتل الشيطان المصرى (حشمت) بك وسجننا فى هذه القاعة ، ولن يلبث رجال الشرطة أن يطبقوا علينا .

استعاد (عصمت) قوته بسرعة ، فقفز واقفًا ، وألقى نظرة سريعة على (حشمت) ، الملقى على ظهره مضرجًا فى دمائه ، ثم التفت إلى باب القاعة ، وتحرَّك فى صورة آلية نحوه ، ثم اندفع يضربه بكتفه القويَّة ، ولكنه لم يلبث أن توقَّف وأصغى بسمعه ، فقد سمع صوت المفتش (شوكت) يقول لرجاله :

ـ اقتحموا هذا القبو ، فلا ريب أن (حشمت) وزوجته يحتميان فى داخله .



وقبل أن تفهم (شاهيناز) ما يقصده (عصمت) بعبارته ، اندفع هو نحو النافـذة ..

أسرع رجال الشرطة التركية يعملون على تحطيم باب القبو ، على حين انفصل اثنان منهم ، وأسرعا إلى غرفة (حشمت) الخاصة ، للبحث عن المخدرات المخبوءة ..

تلفت (عصمت لاظوغلى) حوله بحثًا عن سلاح ، ولكنه لم يرَ سوى مديته المغروسة فى صدر (حشمت) ، وسألته (شاهيناز) فى فزع :

ــ ماذا سنفعل يا (عصمت) ؟

ضغط (عصمت) على أسنانه ، وقال :

ــ معذرة يا هانم .. لافائدة .. ليس إلّا ....

سألته فى لهفة :

ــ إلّا ماذا يا (عصمت) ؟

ابتسم (عصمت) فى شراسة ، وقال :

ــ إلا إذا فكّرت فى أن أنجو وحدى يا هانم .. معذرة .

وقبل أن تفهم (شاهيناز) مايقصده (عصمت) بعبارته ، اندفع هو نحو النافذة التى تطل على مياه مضيق البوسفور صائحًا :

— الوداع أيتها الزعيمة .. تحياتى لرجال الشرطة التركية .

وفى قفزة واحدة عبر النافذة الزجاجية ، وهوى جسده فى الفضاء ، قبل أن يغوص فى مياه البوسفور الباردة .

صرخت (شاهيناز) فى حنق :

— أيها الوغد الحقير .. أيها الـ ....

ولكنها لم تتم عبارتها ، فقد انفتح الباب فى هذه اللحظة ، وظهر على عتبته مفتش البوليس التركى (شوكت ناظم) ، وهو يبتسم فى نصر وشماتة قائلًا :

— أخيرًا يا (شاهيناز) هانم .. سقطت منظمتكم فى أيدى العدالة .

* * *

١١ — الفخ الجهنمى ..

تلاشت نظرات الشماتة والنصر من عينى المفتش (شوكت) فى غمضة عين ، وحلّت محلها نظرات الدهشة والاستنكار ، عندما وقع بصره على جثتى (كرياكوس) و (حشمت) ، وأسرع يتجه نحو جثة هذا الأخير وهو يصيح فى رجاله :

— الإسعاف بسرعة يا رجال .

ثم مال يفحص (حشمت) فى اهتمام ، ولم يلبث أن نهض مواجهًا (شاهيناز) وهو يقول :

— هل لديك تفسير لما أراه يا (شاهيناز) هانم ؟

قالت (شاهيناز) فى اضطراب ، وإن حاولت صبغ لهجتها بالغطرسة التركية :

— إنه ذلك اللص أيها المفتش .. لقد عاد مرة أخرى و ....

قاطعها المفتش (شوكت) قائلًا فى سخرية :

— عجبا لهذا اللص .. أهو يعشق قصركم ؟ أم ماذا ؟

وقبل أن تنطق هى بكلمة ، أسرع يستطرد متهكمًا :

— وهل هذا اللص أيضًا هو الذى أغلق باب القاعة ؟

صاحت مدافعة عن نفسها :

— هذا ماحدث بالفعل أيها المفتش .

ابتسم (شوكت) فى جذل ، وقال :

— هكذا .. أتعشم أن يقتنع النائب العام بذلك ، عندما نعرض عليه قضية إحراز المخدرات والاتجار فيها .

قطّبت حاجبيها وهى تسأل فى برود :

— أية مخدرات أيها المفتش ؟

وفى تلك اللحظة وصل الشرطيان المكلفان تفتيش حجرة (حشمت) الخاصة ، وأحدهما يحمل حقيبة متوسطة الحجم ، تعلّقت بها أبصار الجميع ، وقال أحدهم وهو يلهث فى انفعال واضح :

— لقد وجدنا المخدرات فى نفس المكان الذى أخبرتنا به يا سيّدى ، ولكن ....

قاطعتها (شاهيناز) صارخة :

— إننى لا أدرى شيئًا عن هذه المخدرات .. ربما كان (حشمت) هو الذى يتاجر فيها ، لكننى لا أعلم عنها شيئًا .

تناول (شوكت) الحقيبة من يد الشرطى ، وأسرع يفتحها ، ولم يلبث أن تنهّد فى ارتياح ، عندما رأى أكياس الهيروين التى تملؤها ، وصرخت (شاهيناز) مرة أخرى :

— إننى لا أعلم عن ذلك شيئًا .

أغلق (شوكت) الحقيبة ، وعاد يواجهها قائلاً فى لهجة تحمل كل معانى النصر الذى انتظره طويلاً :

— لقد كانت مرشدتنا على حق .. لقد سقطتِ أخيرًا يا (شاهيناز) هانم .

قالت فى عناد :

— (حشمت) وحده هو المسئول .. لن يمكنك إثبات التهمة علىّ بعد أن لقى مصرعه .

ابتسم (شوكت) وعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى سخرية وشماتة :

ـ هكذا ؟! .. لقد خاب ظنك إذن يا هانم ، فلقد انحرفت مديتك بوصة كاملة عن موضع القلب ، ويؤسفنى أن أخبرك أن (حشمت) بك ما زال حيًا ، وإن كان يحتاج إلى إسعاف سريع .. وما أن يصبح قادرًا على استجوابه ، حتى أحصل على ما يمكننى من تقديمك إلى العدالة يا سيّدتى .

امتقع وجه (شاهيناز) وارتجفت أطرافها ، عندما أخرج (شوكت) من جيبه منديلًا تناول به الخنجر فى حرص ، وهو يقول فى انتصار :

ـ وسيحسم خبراء البصمات الأمر بعد رفع بصماتك عن مقبض المدية .. لقد انتهى أمرك وأمر (حشمت كمال) أخيرًا يا هانم .

انهارت (شاهيناز) ، وانخرطت فى بكاء حار ، وهى تتحسر على جمالها الذى قُدّر له أن يزوى وراء قضبان السجن ، بسبب هذا الشيطان المصرى المعروف باسم (أدهم صبرى) ..

وعاد رجل الشرطة الذى يمسك بالحقيبة يقول فى توتر :

ـ ولكن يا سيّدى هناك ما هو أخطر من ذلك ..

التفت إليه (شوكت) وسأله فى جزع :

ـ ماذا أيها الشرطى ؟

ازدرد الشرطى ريقه ، وقال :

ـ الغرفة المجاورة لغرفة (حشمت) بك .. إنها تحترق .. لقد اشتعلت بها النيران ، وهى تمتد بسرعة فوق السجاد الفاخر الذى يغطى أرضية القصر .

* * *

قبل أن يدخل المفتش (شوكت) إلى القاعة بلحظات ، كان (أدهم) محاصرًا بالنيران فى غرفة (شاهيناز) الخاصة ، بسبب ذلك الفخ الجهنمى الذى زوّدت به تلك الشيطانة خزانتها الخاصة .

كانت النيران تنتشر فى سرعة ، وتكوّن حلقة تضيق باستمرار حول (أدهم) ، وكان الموقف كفيلًا بأن يحطم أعصاب أقوى الرجال وأشدهم بأسًا ، ولكن ليس الرجل الذى يسمونه بـ (رجل المستحيل) ..

عمل عقل (أدهم) فى سرعة وهدوء كعادته ، وهو يسيطر على أعصابه تمامًا ، برغم النيران التى غطت جسمه بالعرق الغزير ، والحرارة الشديدة ، وكان أول ما فعله هو أن مدّ يده داخل الخزانة وتناول الصور الإيجابية والسلبية ، ودسّها فى جيب سترة الزى المميَّز لخدم القصر والذى يرتديه ، ثم دار ببصره فى سرعة وهو يشحذ ذاكرته ، حتى توقَّف أمام نافذة معينة ، قدَّر من موقعها أنها تطل على مياه مضيق البوسفور مباشرة ، ثم انتزع أغطية الفراش ، وكوَّمها فى جانبه ، وانتزع لوحًا من ألواح السرير ، وغاص به وسط النيران ، حتى ارتطم بالنافذة فى قوة ، ثم سحبه إليه ، وقد اشتعلت النيران فى أطرافه .

كان من الواضح أن زجاج النافذة أقوى من أن تحطِّمه ضربات اللوح ، وكانت النيران قد اقتربت من (أدهم) ، حتى أصبح يشعر بها عند أطراف أصابعه ، ولكنه جمع قوته وإرادته فى ذراعيه ، وقذف اللوح بقوة مدهشة فحطَّم النافذة ، وهوَى حتى ارتطم بمياه البوسفور ..

وما أن سمع (أدهم) صوت الارتطام ، حتى جذب غطاء الفراش وأحاط به جسده ، ثم قفز قفزة قوية مخترقًا النيران الملتهبة ، التى امتدت إلى الفراش نفسه ، وشعر بالحرارة الشديدة تلفح وجهه وجسده ، ثم وجد نفسه فجأة يسبح فى الهواء ، وقد اخترق النافذة ، فرمى غطاء الفراش الذى أمسكت به النيران ، وترك جسده يهوى من ارتفاع عشرة أمتار ، نحو مياه مضيق البوسفور .

* * *



١٢ ـ الختام ..

راقبت (منى) فى قلق من خلال نافذة سيارتها ، رجال الشرطة والإسعاف ، وهم يغادرون على عجل قصر (حشمت كمال) ، الذى اضطرمت فيه النيران ، وشاهدت رجال الإطفاء وهم يحاولون فى يأس السيطرة على النيران التى ازداد تأججها ، وانعكس ضياؤها على مياه مضيق البوسفور فى مشهد مروّع ، ارتجفت له القلوب ، وسألت نفسها فى قلق عارم :

ــ أين (أدهم) يا ترى ؟.. هل ....؟

ثم نفضت رأسها فى قوة لتبعد عنها أفكارها المتشائمة ، وعادت تتطلع إلى القصر الذى التهمته النيران تقريبًا ، وفجأة سمعت صوتًا هادئًا يقول :

ــ هل تعانين من أية متاعب يا سيّدتى ؟

استدارت (منى) فى حدّة ، ثم تنهّدت حينما طالعها وجه

شرطى تركى فى ثيابه المميّزة ، فأجبرت نفسها على الابتسام وهى تقول :

ــ شكرًا أيها الشرطى .. إنما جذبنى الفضول لمشاهدة الحريق .

وقبل أن يعقّب الشرطى على قولها ، انتفض جسدها فرحًا ، فقد سمعت من خلفه صوتًا هادئًا تشوبه رنّة ساخرة يقول :

ــ معذرة أيها الشرطى الهمام .. أود أن أنضم إلى زوجتى فى السيارة .

التفت الشرطى فى بساطة ، ولكن عينيه اتسعتا دهشة عندما وقع بصره على (أدهم) ، المبتل من رأسه حتى أخمص قدميه ، فصاح :

ــ سيّدى .. إنك مبتل للغاية .. هل كنت تسبح فى البوسفور بملابسك ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى سخرية وهو يدلف إلى جوار (منى) :

— بل لقد أمطرت السماء فوق رأسى وحدى أيها الشرطى .

وأسرعت (منى) تبتعد بالسيارة تاركة الشرطى ، وقد تدلت فكه دهشة ، ولم تتمالك مشاعرها ، فهتفت فى سعادة جمة :

— حمدًا لله على سلامتك يا (أدهم) .. لقد خشيت لحظة ..

قاطعها قائلًا فى هدوء :

— لقد نجحت المهمة أيتها النقيب ، وحصلت على الصور الإيجابية والسلبية .

ضحكت فى جذل قائلة :

— لقد اعتدت هذه النهاية يا (ن ـ ١) .. ولكنك فى المقابل أشعلت النيران على مضيق البوسفور .

ضاقت عيناه وهو يجفف وجهه ، قائلًا فى جدية وصرامة :

— لقد تحدى هؤلاء الأوغاد المخابرات المصرية يا عزيزتى

وكان لابد من تلقينهم درسًا قاسيًا .

ابتسمت (منى) وهى تقول فى لهجة ماكرة :

— بالطبع .. مادام خصمهم هو (أدهم صبرى) ، الملقب بـ (رجل المستحيل) .

ابتسم فى هدوء ، وقال :

— حسنًا أيتها النقيب .. سنؤجل الثناء لحين عودتنا إلى القاهرة ، أما الآن فعليك القيادة حتى الفندق ، حيث أبدل ثيابى المبتلة بأخرى جافة ، فلم يتبق سوى ساعات ثلاث على موعد قيام طائرتنا .

* * *

عندما دخل المفتش (شوكت ناظم) إلى غرفة النائب العام فى الصباح التالى ، لم يتمالك هذا الأخير أن نهض من مقعده ، وصافحه فى حرارة قائلًا :

— مرحبًا بأمهر رجال البوليس فى (تركيا) .. لقد حققت يا صديقى نصرًا رائعًا فى هذه المهمة .. لقد كنت بحق أشجع رجال الشرطة .

تلقى (شوكت) الثناء فى هدوء ، وسأل النائب العام فى اهتمام :

ـــ هل حصلت على اعتراف كامل يا سيّدى ؟

أومأ النائب العام برأسه فى سعادة ، وقال :

ـــ لم تكد (شاهيناز كاظم) تعلم بنجاة (حشمت كمال) من الموت ، واستعداده للاعتراف ، حتى فقدت أعصابها ، وانهارت معترفة بكل شىء .. بل العجيب أنها لم تعترف بتجارة المخدرات فقط ، بل بالشروع فى قتل زوجها وبالتجسُّس لحساب (الموساد) .. إننى أضمن لك الترقية بعد هذا النصر الرائع .

ارتفع حاجبا (شوكت) دهشة ، ثم استعاد هدوءه وزوى ما بينهما ، وقال :

ـــ العجيب أيضًا أنها ظلت تحدثنى طوال الطريق من قصرها إلى هنا فى انهيار كامل ، عن ضابط مخابرات مصرى يمتلك قدرات مذهلة ، وادعت بأنه هو الذى تسبَّب فى كل ذلك .. حتى فى احتراق قصرها ، الذى قدّره الخبراء بعشرة ملايين على الأقل .

تراجع النائب العام فى مقعده ، وسأله :

ـــ وهل صدَّقت هلوستها هذه ؟

أشعل (شوكت) سيجارة ونفث دخانها فى صمت ، ثم قال :

ـــ إننى لم أصدِّق حرفًا واحدًا فى البداية ، ولكننى عندما عدت إلى منزلى أخذت أتساءل عن سبب اشتعال النيران فى غرفتها الخاصة ، وعن سبب قدوم تلك السائحة المصرية ، لإبلاغى أنا بالذات عن صفقة المخدرات ، ووجدت عقلى يميل إلى تصديق قصتها .

ضحك النائب العام ، وقال :

ـــ هراء يا عزيزى (شوكت) .. إنما هى الهزيمة التى دفعت عقلها الباطن إلى تصوُّر وجود مثل هذا الرجل الأسطورة ، فلم يمكنها أن تتقبَّل فكرة الفشل بعد كل النجاح السابق .. هل تصدِّق أنت إمكانية وجود مثل هذا الرجل ؟ ..

هزَّ (شوكت) كتفيه ، وسحب نفسًا قويًّا من سيجارته ، وقال :

— تقصد ضابط المخابرات المصرى الذى يتملك كل هذه المهارات ؟! هذا مستحيل بالطبع ، فلا يمكن لبشر أن يتملك كل ذلك .

ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو ينفث الدخان من بين شفتيه مستطردًا :

— ولو وُجِد مثل هذا الرجل ، فإنه يستحق عن جدارة لقب (رجل المستحيل) ..

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ١٢ بالمنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - تليفون ٨٢٦٢٨٠